جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

﴿مَعَالِمُ الْوَسَطِيةِ عِندَ الْمُحَدِّثِين﴾

إعداد

دكتور: محمد إبراهيم علي مشعل

مدرس الحديث وعلومه بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية بنين بالشرقية

المؤتمر العلمي الدولي الأول

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

مَعَالِمُ الْوَسَطِيةِ عِندَ الْمُحَدَّثِين

محمد إبراهيم علي مشعل

قسم الحديث–كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية–جامعة الأزهر.

مدينة: فاقوس. محافظة: الشرقية. الدولة: جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: **mashaal.shab@azhar.edu.eg**

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبراز وبيان وسطية المحدثين من خلال منهجهم الذي وضعوه وساروا عليه لحفظ سنة النبي ﷺ وضبطها، وقد سلكت في إعداده على المنهج الوصفي التحليلي، فالسنةُ النبوية المطهرة تُعدُّ مصدرًا رئيسيًا في الدين الإسلامي بعد القرآن الكريم، ولذا اهتم العلماء منذ عهد النبي ﷺ على حفظها وضبطها وروايتها، وقد سلك المحدثون في حفظهم لها على مرحلتين، الأولى: مرحلة التحمل والأداء، والثانية: مرحلة النقد والتمحيص، وقد تميز منهج المحدثين في تلك المرحلتين بالوسطية والاعتدال، وذلك من خلال القواعد التي وضعوها وساروا عليها، ولذا أحببت أن أبرز منهجهم هذا الذي تميزوا به من خلال هذا البحث الموسوم بـــ(معالم الوسطية عند المحدثين)، ورأيت تقسيمه إلى: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمةٍ، وفهارسَ علمية.

أمَّا المقدِّمةُ، فتناولت فيها: أهمِّيَّة المَوضـوعِ، وأسـباب اختيارهِ. والدِّراسـات السَّـابقة لهذا البحث. وخطَّة البَحثِ، ومنهج العمل فيه. وأمَّا المبحث الأول: فعرفت فيه بعنوان البحث، وبيان المراد منه. وأمَّا المبحث الثاني: فتناولت فيه سمات الو سطية في منهج النبي ﷺ. وأمَّا المبحث الثالث: فتحدثت فيه عن وسـطية الصـحابة، ودورها في حفظ السـنة ونشرـها. وأمَّا المبحث الرابع: فبينت فيه معالم الوسطية عند المحدثين.

وفي الختام: ذكرتُ أهمَّ النَّتائج الَّتي توصلت إليها من خلال هذا البحث، ومن أهمها:

- بيان وسطية الإسلام وسماحته ويسره.
- إبراز سمات الوسطية في منهج النبي ﷺ.
- ذكر وسطية الصحابة من خلال منهجهم الذي سلكوه في حفظ السنة وضبطها.
- إيضاح وسطية المحدثين من خلال منهجهم الذي وضعوه وساروا عليه لحفظ السنة النبوية المطهرة.

- الكلمات الافتتاحية: معالم- الوسطية- المحدثين-سمات- منهج- حفظ السنة.

The landmarks of the middle of the modernists

Mohammed Ibrahim Ali Meshal
Department of Hadith – Faculty of Islamic and Arab Studies for Boys in Sharqiya - Al-Azhar University.
City: Fakos – Province: Sharqiya – State: Arab Republic of Egypt.
E-mail: mashaal.shab@azhar.edu.eg.

summary of the research:

The Prophet's Sunnah is a major source of Islam after the Qur'an, so scholars have been interested since the time of the Prophet (on preserving, controlling and narrating it, and the modernists have been keeping it in two stages: the stage of endurance and performance, and the second: the stage of criticism and scrutiny, and The approach of the modernists at these stages was characterized by moderation and moderation, through the rules they set and followed, so I liked to highlight this approach that they distinguished them with through this research marked by (the features of the middle of the modernists), and I saw its division To: Introduction, four detectives, a conclusion, and scientific indexes.

The introduction dealt with the importance of the subject and the reasons for its choice. And previous studies of this research. The research plan and the approach to work in it. The first topic was entitled Research and the statement of its purpose. The second is that it deals with the characteristics of moderation in the Prophet's approach. The third topic was about the centrality of the Sahaba and its role in preserving and disseminating Sunnis. The fourth is: the features of the medium have been revealed to the modernists.

In conclusion: I mentioned the most important findings of this

research, the most important of which are: - a statement of the centrality, tolerance and ease of Islam. - Highlighting the features of moderation in the prophet's approach (. . . - mentioning the moderation of the Sahaba through their approach to preserving the Sunnah and controlling the Sunnah. –

Opening words: landmarks - moderation - modernists - attributes - method - preservation of the Sunnah.

﴿مقدمة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛

فإن الله تعالى بعث نبيه محمدًا ﷺ بشريعة غراء، تتميز بالوسطية واللين، والسماحة والسهولة، فلا غلو فيها ولا تفريط، ومصداق ذلك قول ربنا: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾[1]، ومن ثَمَّ كان نبينا ﷺ وسطًا في أموره كلها، ومصداق ذلك قول السيدة عائشة -رضي الله عنها-: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا...»[2]، وكذلك تميزت هذه الأمة بو سطيتها، كما وصفها بذلك ربها ﷻ، فقال جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3]، ومن ثَمَّ امتثل المحدثون لهدي نبيهم ﷺ، فوضعوا منهجًا وسطًا، سواءً في جمع السنة وروايتها، أو في تمحيصها ونقدها، فكان هذا المنهج بمثابة المعالم التي ساروا عليها لحفظ سنة النبي ﷺ.

ولقد كان لاختيار هذا الموضوع أسبابٌ، أبينها في العنصر الآتي:

أولًا: أهميَّةُ الموضوعِ، وأسبَابُ اختيَارِهِ:

تعودُ أهمِّيَّة البحثِ، وأسباب اختيارِه إلى أُمورٍ، أهمُّها:

١- إيضاح وسطية الإسلام التي جاء بها رسولنا محمد ﷺ.

٢- إبراز سمات الوسطية في منهج النبي ﷺ.

٣- بيانُ وسطية الصحابة، ودورها في حفظ السنة ونشرها.

---

(١) سورة البقرة/ الآية ١٨٥.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ المَنَاقِبِ-بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ ٤/ ١٨٩/ ٣٥٦٠)، والإمام مسلم في صحيحه (كتاب الْفَضَائِلِ-بَابُ مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْآثَامِ، وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ ٤/ ١٨١٣/ ٧٧-٢٣٢٧).

(٣) سورة البقرة/ الآية ١٤٥.

٤- ذكر أهم معالم الوسطية عند المحدثين ومنهجهم في حفظ السنة النبوية وروايتها.

٥- خدمة سنة النبي ﷺ وأئمتها من خلال ذكر وسطيتهم التي ساروا عليها في منهجهم الحديثي.

٦- إثراء المكتبة الحديثية ببحث -أحسبه جديدًا في بابه- عن معالم الوسطية عند المحدثين.

ثانيًا: الدِّراساتُ السَّابقة لهذا البحث:

تنقسم الأبحاث السابقة التي تحدثت عن الوسطية إلى قسمين:

القسم الأول: ما كتب عن الوسطية بشكل عام، وهذه أبحاث كثيرة جدًا، منها: كتاب الوسطية والاعتدال وتأثيرها على الأمة، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزير الأوقاف بالمملكة العربية السعودية.

ومنها: كتاب بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، للشيخ عبد الرحمن السديس.

ومنها: كتاب الوسطية في الإسلام، بين التغيير والتبديل إلى بناء الأمة الوسط. للأستاذ: منير الشواف.

ومنها: الوسطية في الإسلام، للشيخ عبد الرحمن حسن الميداني. وغيرهم كثير.

القسم الثاني: ما كتب عن وسطية المحدثين، ودورها في حفظ السنة، فهذا لم أقف لأحدٍ -فيما أعلم، وبعد طول بحث على شبكة الانترنت، وسؤال بعض الأساتذة والأصدقاء- تعرض لمعالم الوسطية عند المحدثين، وأسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث إضافة جديدة للمكتبة الحديثية.

ثالثًا: خطة البحث:

تشتملُ هذه الخطَّةُ على: مقدِّمةٍ، وأربعة مباحث، وخاتمةٍ، وفهارسَ علمية.

۞ أمَّا المقدِّمةُ، فأتَناوَلُ فيها:

❶ أهمِّيَّة المَوضوعِ، وأسباب اختيارِه.

❷ الدِّراسات السَّابقة لهذا البحث.

❸ خطَّة البَحثِ، ومنهج العمل فيه.

۞ وأمَّا المبحث الأول، فهو: تعريف بعنوان البحث، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف بمعنى معالم، وبيان المراد منه.

- المطلب الثاني: بيان معنى الوسطية، وأهميتها في الإسلام.

- المطلب الثالث: بيان المراد بالمحدثين، ودورهم في حفظ السنة.

۞ وأما المبحث الثاني، فهو: سمات الوسطية في منهج النبي ﷺ.

۞ وأما المبحث الثالث، فهو: وسطية الصحابة، ودورها في حفظ السنة وروايتها.

۞ وأما المبحث الرابع، فهو: بيان معالم الوسطية عند المحدثين، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: معالم الوسطية عند المحدثين في جمع السنة وروايتها.

- المطلب الثاني: معالم الوسطية عند المحدثين في نقد السنة وتمحيصها.

۞ وأما الخاتِمَةُ، فتشتَمِلُ على: النَّتائِجِ الَّتي أتوصَّلُ إليها - بإذن الله تعالى-، مع ذكر التَّوصِياتِ والمُقتَرَحاتِ الَّتي أُوصِي بها.

۞ وأما الفَهارِسُ العلمية، فتشتَمِلُ على ما يأتي:

١- فهرس الآيات القرآنية مرتبةً على حسب ترتيب سور القرآن.

٢- فهرس الأحاديث النبوية والآثار مرتبة على حروف المعجم.

٣- فهرس المصادر والمراجع مرتبة على حروف المعجم.

٤- فهرس الموضوعات.

* منهج العمل في هذا البحث:

سرت في هذا البحث على الخطوات الآتية:

١- اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي التحليلي.

٢- طالعت عددًا من الكتب والأبحاث المنشورة على الانترنت، ولها تعلق بموضوع البحث.

٣- قسمت البحث إلى: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس علمية.

٤- عرفتُ بالمفردات المذكورة في عنوان البحث، ثم بينت المراد منه.

٥- بينت أهم سمات ومظاهر الوسطية في منهج النبي ﷺ من خلال السنة النبوية.

٦- تحدثت عن وسطية الصحابة في منهجهم الذي سلكوه لحفظ سنة النبي ﷺ وروايتها من خلال

الآثار الواردة في حرص الصحابة الكرام واهتمامهم بحفظ السنة وضبطها، ودور هذا المنهج في بقاء السنة إلى يومنا هذا.

٧- ذكرت أهم المعالم التي سلكها المحدثون في منهجهم لحفظ السنة النبوية وروايتها، مع ذكر ما تميز به منهجهم هذا بالوسطية والاعتدال الذي جاء به الإسلام.

٨- قصدت في بحثي هذا بيان وسطية المحدثين من خلال منهجهم الذي سلكوه في ضبط السنة وروايتها.

٩- عند الاستشهاد بالآيات القرآنية، فإني أذكر رقم الآية واسم السورة في الهامش.

١٠- عند الاستشهاد بالأحاديث النبوية فإني أكتفي بذكر الحديث إذا كان في الصحيحين أو أحدهما، ولا استشهد من غيرهما إلا لضرورة مع بيان درجته مع حيث الصحة والحسن، ولا استشهد بحديث ضعيف.

١١- أبين معاني الألفاظ الغريبة من كتب اللغة والمعاجم.

المبحث الأول:

تعريف بعنوان البحث

وفيه ثلاثة مطالب:

﴿المطلب الأول: تعريف بمعنى معالم، وبيان المراد منه﴾

كلمةُ معالم هي: جمع مَعْلَم، وقد عرفه ابن منظور، فقال: المَعْلَمُ مَا جُعِلَ عَلامةً وعَلَماً للطُّرُق وَالْحُدُودِ، مِثْل أَعلام الحَرَم ومعالِمِه الْمَضْرُوبَةِ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: المَعْلَمُ الأَثر. ومَعْلَمُ الطَّرِيقِ: دَلالتُه، وَكَذَلِكَ مَعْلَم الدِّين عَلَى الْمَثَلِ. ومَعْلَم كلِّ شَيْءٍ: مظِنَّتُه، وَفُلَانٌ مَعلَمٌ لِلْخَيْرِ كَذَلِكَ، وَكُلُّهُ رَاجِعٌ إِلَى الوَسْم والعِلْم، وأَعلَمْتُ عَلَى مَوْضِعِ كَذَا مِنَ الْكِتَابِ عَلامةً. والمَعْلَمُ: الأَثرُ يُستَدَلُّ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَمْعُهُ المعالِمُ[1].

وقال محمد بنُ فتوح الأزدي: المَعْلَمُ هو: مَا يجْعَل علمًا وعلامة للطرق وَالْحُدُود، مثل أَعْلَام الْحرم ومعالمه المضروبة عَلَيْهِ الَّتِي يسْتَدلّ بهَا على انْتِهَاء الْحرم وابتدائه[2].

وقيل: يراد بالمعلم أيضًا: الدليل، قال أبو بكر الأزدي: معالم الدين: دلائله، وكذلك معالم الطريق، والواحد معلم[3].

وقال الدكتور أحمد مختار: مَعالِمُ: جمع مَعْلَم، فمعالم المكان: ما يُستدلُّ بها عليه من آثارٍ ونحوِها، ومعالِم أثريَّة -أخفت الجراحةُ معالمَ وجهه، ويُخفي معالمَ جريمته-، ومَعالِم الطّريق: العلامات التي تدلُّ عليها، ومَعالِم المدينة: الأبنية ونحوها التي تشتهر بها وتميِّزها عن غيرها من المدن، ومَعالِم تاريخيَّة: أحداث تمثِّل نقطة تحوُّل في التاريخ[4].

من خلال ما سبق يتبين لي أن المراد بالمعلم هو الأثر أو العلامة التي يُستدلُّ بها على الطريق وغيره، ولذا يستعمل هذا المصطلح في عصرنا على بعض المصطلحات الحسية أو المعنوية، وأريد به هذا المعنى،

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٤١٩).

(٢) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم؛ لـ محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي (ص ١٣٧).

(٣) جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢/ ٩٤٨).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (٢/ ١٥٤٤).

فمثال المصطلحات الحسية، يقال: المعالم التاريخية، والمعالم الأثرية، ومعالم المدينة، ونحوه، والمراد بها آثارها أو علامتها التي تدل عليها. ومثال المصطلحات المعنوية: معالم التربية، ومعالم الوسطية، ونحوهما، والمراد بها أيضًا: آثارها أو علامتها التي تدل عليها.

ومن ثمَّ سميت بحثي هذا بمعالم الوسطية عند المحدثين، أي آثار الوسطية أو علامتها التي يُستدل بها على وسطية المحدثين من خلال منهجهم التي ساروا عليه سواء في جمع السنة ونشرها، أو في نقدها وتمحيصها.

﴿المطلب الثاني: بيان معنى الوسطية، وأهميتها في الإسلام﴾

❖ **تعريف الوسطية:**

الوسطية مأخوذة من مادة وسط. قال ابن فارس: "(وَسَطَ) الْوَاوُ وَالسِّينُ وَالطَّاءُ: بِنَاءٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْعَدْلِ وَالنِّصْفِ. وَأَعْدَلُ الشَّيْءِ: أَوْسَطُهُ وَوَسَطُهُ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: ١٤٣]"[1].

وقال أبو منصور الهروي: "وسط: قَالَ الله عزَّ وجلّ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}. قَالَ أَبُو إِسْحَاق فِي قَوْله: {أُمَّةً وَسَطًا} قَولَانِ، قَالَ بَعضهم: وَسَطاً عَدْلاً. وَقَالَ بَعضهم: خياراً، واللفظان مُخْتَلِفَانِ وَالْمَعْنَى وَاحِد، لِأَن العَدْل خيّر، والخيّر عدل. وَقيل فِي صفة النَّبِي ﷺ أَنه كَانَ من أَوْسَط قومه، أَي: من خِيارهم. والعرَب تَصِف الفاضلَ النَّسَبِ بِأَنَّهُ من أَوْسط قومه، وَهَذَا يَعرِف حقيقتَه أهلُ اللُّغَة، لِأَن العرَب تَستعمل التَّمثيل كثيرا، فتُمثّل القبيلةَ بالوادي، والقاع، وَمَا أشبهَه، فخيْرُ الْوَادي وَسَطُه، فَيُقَال: هَذَا من وَسط قومِه، وَمن وَسط الْوَادي، وسرَر الْوَادي، وسَرارَتِه، وسِرّه، وَمَعْنَاهُ كلُّه من خيرِ مَكَان فِيهِ، فَكَذَلِك النَّبِي ﷺ من خير مكانٍ فِي نَسَب الْعَرَب، وَكَذَلِكَ جُعِلتْ أُمَّتُه أمّةً وَسَطاً، أَي: خِيارًا[2]".

وقال ابن منظور: "الوسَطُ اسْمٌ لِمَا بينَ طَرَفَيِ الشَّيْءِ وَهُوَ مِنْهُ[3]". وهو بهذا المعنى يدل على العدل والاتزان.

* قلت: من خلال ما سبق، يتبين لي أن الوسطية في اللغة مأخوذة من مادة "وسط"، وهي تدل على أحد معنيين، وهما: العدل والاتزان، أو الخيار والأفضلية. وهذا هو مرادي من معنى الوسطية في عنوان البحث، أي بيان اعتدال منهج المحدثين واتزانه، وخياره وأفضليته، فهو منهج لا يتسم بالغلوِ والتشدد، ولا بالإفراط والتسيب، وإنما هو وسط بينهما. وتوجد كذلك مصطلحات أخرى ترد في السنة النبوية، وهي تدل على معنى الوسطية، كلفظ: العدل، واليسر، ولأهميتها وتعلقها بموضوع البحث، سأذكر تعريفها.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٠٨).

(٢) تهذيب اللغة (١٣/ ٢١).

(٣) لسان العرب (٧/ ٤٢٨).

- تعريف العدل:

قال ابن فارس: "عَدَلَ"، الْعَيْنُ وَالدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، لَكِنَّهُمَا مُتَقَابِلَانِ كَالْمُتَضَادَّيْنِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِوَاءٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى اعْوِجَاجٍ. فَالْأَوَّلُ الْعَدْلُ مِنَ النَّاسِ: الْمَرْضِيُّ الْمُسْتَوِي الطَّرِيقَةِ. يُقَالُ: هَذَا عَدْلٌ، وَهُمَا عَدْلٌ. وَالْعَدْلُ: الْحُكْمُ بِالِاسْتِوَاءِ. وَيُقَالُ لِلشَّيْءِ يُسَاوِي الشَّيْءَ: هُوَ عِدْلُهُ[1].

وقال ابنُ منظور: "العَدْل هو: مَا قَامَ فِي النُّفُوسِ أَنه مُسْتقيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، وَهُوَ ضِدُّ الجَوْر. والاعْتِدالُ: تَوَسُّطُ حالٍ بَيْنَ حالَيْن فِي كَمٍّ أَو كَيْفٍ، كَقَوْلِهِمْ جِسْمٌ مُعْتَدِلٌ بَيْنَ الطُّول والقِصَر[2].

- تعريف اليسر:

قال ابن منظور: "اليُسْرُ ضِدُّ الْعُسْرِ، أي أَنه سَهْلٌ، سَمْحٌ، قَلِيلُ التَّشْدِيد. ومعناه: اللِّينُ وَالِانْقِيَادُ. كما في الْحَدِيثِ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[3]. وقوله ﷺ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا...[4]»".

* قلت: وبهذا يتبين أن لفظ العدل، أو اليسر يأتي أحيانًا في السنة بمعنى التوسط بين الأمور.

❖ أهمية الوسطية في الإسلام ومكانتها:

إن من أهم الخصال التي تميز بها الإسلام هو الاعتدال والاتزان، فالإسلام دين وسط بين طرفين، فلا هو الذي يدعو إلى الرهبنة، وترك إعمار الدنيا، ولا هو الذي يدعو إلى المادية بترك العبادة والاهتمام بالدنيا، فهو وسط بينهما. كما قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٢٤٦).

(٢) لسان العرب (١١/ ٤٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (كِتَابُ الإِيمَانِ-بَابٌ: الدِّينُ يُسْرٌ ١/ ١٦/ ٣٩).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ المَنَاقِبِ-بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ ٤/ ١٨٩/ ٣٥٦٠)، والإمام مسلم في صحيحه (كتاب الْفَضَائِلِ-بَابُ مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْآثَامِ، وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ ٤/ ١٨١٣/ ٧٧-٢٣٢٧).

الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ[1]﴾.

ولذا وصف الله هذه الأمة بأنها أمة وسط، فقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا[2]﴾.

قال الطبري في تفسيره لقوله تعالىٰ "أمة وسطا": "وأنا أرىٰ أن الوسط في هذا الموضع، هو الوسط الذي بمعنىٰ: الجزءُ الذي هو بين الطرفين. وأرىٰ أن الله تعالىٰ إنما وصفهم بأنهم وسَط، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه كغلوِّ النصارىٰ الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسىٰ ما قالوا فيه، ولا هُم أهلُ تقصير فيه كتقصيرِ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا علىٰ ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلىٰ الله أوسطُها[3]".

وذكر الطبري عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ تعالىٰ: {مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ} [المائدة: ٦٦]، قَالَ: "فَهَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُقْتَصِدَةُ الَّذِينَ لَا هُمْ فَسَقُوا فِي الدِّينِ وَلَا هُمْ غَلَوْا. قَالَ: وَالْغُلُوُّ: الرَّغْبَةُ، وَالْفِسْقُ: التَّقْصِيرُ عَنْهُ[4]".

وقد كان نبينا ﷺ يحرص علىٰ التيسير في أموره كلها، ويحث أصحابه وأمته عليه، فيقول لهم ﷺ: «يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا[5]»، ويقول لهم أيضًا ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ[6]».

وروىٰ الإمام أحمد في مسنده (٧/ ٢٠٧/ ٤١٤٢) بسند حسن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٧.

(٢) سورة البقرة/ الآية ١٤٥.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٤٢).

(٤) المصدر السابق (٨/ ٥٦٦).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ العِلْمِ- بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ ١/ ٢٥/ ٦٩).

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ الأَدَبِ- بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا» ٨/ ٣٠/ ٦١٢٨).

تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام: ١٥٣] الآية.

قال الحسين الشِّيرازيُّ في كتابه المفاتيح في شرح المصابيح: قوله "هذا سبيل الله": هذا إشارة إلى أن سبيل الله وسط ليس فيه تقصير ولا إسراف، وسبيل أهل البدع مائل إلى جانب؛ يعني: فيه تقصيرٌ أو غلو[1]".

* قلت: وبهذا يتبين أن دين الإسلام دينٌ وسط في أموره كلها، يتميز بالاعتدال والاتزان، مجتنبًا طرفي التشدد والجفاء، والإفراط والتقصير، ومن ثمَّ فهو دينٌ يدعو ويحثُّ أتباعه إلى التوسط في أمورهم كلها، سواء الدينية أو الدنيوية. ولعلَّ جميع المنتسبين إلى الإسلام يدَّعون أنهم وحدهم على الوسطية دون من سواهم مع تعدد مذاهبهم ومناهجهم وعقائدهم، ولذا فحد الوسطية هو أن يكون على هدي القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وأن يكون في أمره كله بين طرفي الإفراط والتفريط، ولا يميل إلى أحد الجانبين. ولذا قال ابنُ عبد البر: "وَقَدْ جَعَلَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- الْغُلُوَّ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ سَيِّئَةً، وَالتَّقْصِيرَ سَيِّئَةً، فَقَالَ الْحَسَنَةُ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ[2]". وقال فخر الدين الرازي: "الْغُلُوُّ نَقِيضُ التَّقْصِيرِ. وَمَعْنَاهُ الْخُرُوجُ عَنِ الْحَدِّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَقَّ بَيْنَ طَرَفَيِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَدِينَ اللَّهِ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ[3]".

وقال أبو العباس القرطبي في قوله ﷺ «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا»: "أي سددوا في الأعمال؛ أي: اعملوها مسددة لا غلو فيها ولا تقصير، وقاربوا في أزمانها بحيث لا يكون فيها قصر، ولا تطويل، وأبشروا على ذلك بالثواب الكثير والخير الجزيل[4]".

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٢٧٣).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (١/ ١٩٥).

(٣) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي (١٢/ ٤١١).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ١٣٩).

﴿المطلب الثالث: بيان المراد بمصطلح المحدثين، ودورهم في حفظ السنة﴾

*** تعريف مصطلح المحدثين، وبيان المراد به:**

- مصطلح المحدثين في اللغة: هو جمع محدث، وهو مأخوذ من الحدث.

قال ابنُ فارس: "الْحَاءُ وَالدَّالُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ كَوْنُ الشَّيْءِ لَمْ يَكُنْ. يُقَالُ: حَدَثَ أَمْرٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ[1]".

وقال ابنُ منظور: "الحَدِيثُ: نقيضُ الْقَدِيمِ... والحديثُ: الجديدُ مِنَ الأَشياء. وَالْحَدِيثُ: الخَبَرُ يأْتي عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَالْجَمْعُ: أَحاديثُ... والحديثُ: مَا يُحَدِّثُ بِهِ الْمُحَدِّثُ تَحْدِيثًا[2]".

- اصطلاحًا:

قال ابن حجر: "الحديثُ هو: ما جاء عن النبي ﷺ، والخَبَرُ: ما جاءَ عن غيرِه، ومِن ثَمَّ قيلَ لَمَن يشتغلُ بالتَّواريخِ وما شَاكَلَهَا: الإِخْبَارِي، ولمن يشتغل بالسنَّة النبوية: المحدِّث[3]".

وقال السيوطي بعد أن ذكر جملة من أقوال العلماء في حد المحدث والحافظ: "المحدث هو من عرف الأسانيد والعلل، وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن البيهقي، ومعجم الطبراني، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية. هذا أقل درجاته، فإذا سمع ما ذكرناه، وكتب الطباق، ودار على الشيوخ، وتكلم في العلل والوفيات والمسانيد، كان في أول درجات المحدثين، ثم يزيد الله من يشاء ما يشاء[4]".

وقال فتح الدين بن سيد الناس: "المحدث في عصرنا: هو من اشتغل بالحديث رواية ودراية، وجمع رواته، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره، وتميز في ذلك حتى عرف فيه حفظه، واشتهر فيه ضبطه، فإن توسع في ذلك حتى عرف شيوخه، وشيوخ شيوخه، طبقة بعد طبقة، بحيث يكون ما

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٦).

(٢) لسان العرب (٢/ ١٣١).

(٣) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (ص ٣٥).

(٤) تدريب الراوي (١/ ٣٥).

يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله منها فهذا هو الحافظ[1]".

* قلت: من خلال ما سبق يتبين لي أن المراد بلفظ المحدث عند المحدثين هو من اشتغل بالحديث والسنة رواية أو دراية، واشتهر بذلك في عصره، وهذا ما قصدته في عنوان البحث، وهو بيان معالم الوسطية عند المشتغلين بالسنة رواية أو دراية.

*** دَورُ المحدثين في حفظ السنة النبوية المطهرة:**

لقد تكفل الله ﷻ بحفظ دينه وشريعته التي أنزلها على عباده، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ[2]﴾.

والمراد بنور الله في هذه الآية: هو دين الله، وهو الإسلام، كما ذكر ذلك الإمام الطبري في تفسيره[3].

والإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ[4]﴾، وقال الله سبحانه: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا[5]﴾، وقال جل ذكره: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ[6]﴾.

وقد أرسل الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ بهذا الدين الخاتم، وأنزل عليه وحيًا يتضمن التكليفات والتشريعات التي جاء بها هذا الدين، وهذا الوحي يتكون من مصدرين أساسيين، أحدهما: وحي ملفوظ، -أي متعبد بلفظه وهو القرآن الكريم-، والآخر: وحي معنوي، -أي متعبد بمعناه وهو السنة النبوية المشرفة-، وكما تكفل الله تعالى بحفظ دينه على وجه العموم، تكفل بحفظ هذا الوحي على وجه

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٧).

(٢) سورة التوبة/ الآية ٣٢.

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٢١٤).

(٤) سورة آل عمران/ الآية ١٩.

(٥) سورة المائدة/ الآية ٣.

(٦) سورة آل عمران/ الآية ٨٥.

الخصوص، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(١)﴾. والمراد بالذكر هنا: الوحي بنوعيه، كما قال ربنا في كتابه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(٢)﴾.

قال القرطبيُّ في تفسيره لهذه الآية: "فالرسول ﷺ مبين عن الله ﷻ مراده مما أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة، وغير ذلك مما لم يفصله(٣)".

ولحفظ سنة النبي ﷺ وبقائها، سخر الله ﷻ رجالًا لحفظها، وشرفهم بالعمل على خدمتها وصيانتها، كما قال الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري: "فإن أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام، وأعلى ما خص بمزيد الاهتمام، الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية، ولا يرتاب عاقل في أن مدارها على كتاب الله المقتفى، وسنة نبيه المصطفى، وأن باقي العلوم، إما آلات لفهمها وهي الضالة المطلوبة، أو أجنبية عنها وهي الضارة المغلوبة(٤)".

وقال أبو عبد الله الكتاني: "إن العلم الذي لا بد منه لكل قاصد، ولا يَستغني عن طلبه عالم ولا عابد، علم الحديث والسنة، وما شرعه الرسول ﷺ لأمته وسنَّه، وهو من العلوم الأخروية، والنجاة لمن تمسك به من كل بلية، والعصمة لمن التجأ إليه، والهدى لمن استهدى به وعول عليه، وأهله هم: حفاظ الشريعة من الأعداء وحراسها ممن يريد التمرد والشقاء، ولولاهم لاضمحل الدين، وكان عرضة لتلاعب المتمردين، وهم عدول هذه الأمة، والكاشفون عنها كل غمة، وخلفاء النبي عليه السلام، وأهله الخاصون به من الأنام، وكفاهم شرفًا أنهم أكثر الناس صلاة على حبيبه المصطفى ﷺ(٥)".

وقال ابنُ أبي حاتم في مقدمة كتابه الجرح والتعديل: "فإن قيل كيف السبيل إلى معرفة ما ذكرتَ من معاني كتاب الله ﷻ ومعالم دينه؟ قيل: بالآثار الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه النجباء

---

(١) سورة الحجر/ الآية ٩.

(٢) سورة النحل/ الآية ٤٤.

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ١٠٩).

(٤) مقدمة فتح الباري (١/ ٣).

(٥) مقدمة كتاب الرسالة المستطرفة؛ لأبي عبد الله محمد بن أبي الفيض الإدريسي الشهير بـ الكتاني (ص ١).

الألباء، الذين شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، رضي الله تعالىٰ عنهم. فإن قيل: فبماذا تعرف الآثار الصحيحة والسقيمة؟ قيل: بنقد العلماء الجهابذة الذين خصهم الله ﷻ بهذه الفضيلة، ورزقهم هذه المعرفة في كل دهر وزمان. قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث المصنوعة؟ قال: يعيش لها الجهابذة[1]".

وروىٰ الذهبيُّ في السير: "أن هارون الرشيد أخذ زنديقًا ليقتله، فقال الرجلُ: أين أنت من ألف حديث وضعتها؟ فقال هارون: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري، وابن المبارك يتخلَّلانها، فيخرجانها حرفًا حرفًا[2]".

- وهكذا يتبين لنا فضل علماء الحديث ومنزلتهم العالية، الذين شرفهم الله تعالىٰ بخدمة سنة نبيه ﷺ، إما بجمعها وضبطها وروايتها، وإما بتمحيصها ونقدها وبيان صحيحها من ضعيفها.

وأسأل الله تعالىٰ أن يستعملنا في خدمة كتابه الكريم، وسنة نبيه الأمين ﷺ، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (١/ ٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٤٢).

﴿المبحث الثاني: معالم الوسطية في منهج النبي ﷺ﴾

*** تمهيد:**

في هذا البحث سأتحدث -بإذن الله تعالى- عن معالم الوسطية عند المحدثين، ومن ثمَّ فحريٌّ بي أن أُبرز بدايةً معالم الوسطية في منهج النبي ﷺ، وذلك لأنه إمام المحدثين وقدوتهم، وقد برزتْ هذه المعالم جلية في جميع أحوال النبي ﷺ، سواء كان في بيته، أو مع أصحابه، أو حتى مع أعدائه، وغيرهم، وهذه بعض أبرز الأمثلة التي من خلالها نستطيع أن نستبط أهم المعالم من منهج النبي ﷺ:

١- وسطية النبي ﷺ في تعامله مع أهل بيته الأطهار:

لم يكن رسول الله ﷺ بالرجل الغليظ الفظ، ولا هو بالمفرط والمضيع لحقوق أهله وبيته، بل كان وسطًا بين هذا وذاك، فكان رحيمًا رقيقًا، سهلًا لينًا، يمازحهم ويضحك معهم، ومع هذا كان يغضب إذا رأى في بيته شيئًا يغضب الله ﷻ ولو كان عن غير قصدٍ.

فمثال الأول: ما رواه أبو داود في سننه بسند صحيح من حديث عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: «هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ[1]».

ومثال الثاني: ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ[2]، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى البَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» قَالَتْ: فَقُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»، وَقَالَ: «إِنَّ البَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لاَ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (كِتَاب الْجِهَادِ-بَابٌ فِي السَّبَقِ عَلَى الرِّجْلِ ٣/ ٢٩/ ٢٥٧٨).

(٢) نُمْرُقَة: أَيْ وِسادة، وَهِيَ بِضَمِّ النُّونِ وَالرَّاءِ، وَبِكَسْرِهِمَا، وَبِغَيْرِ هاءٍ، وجمعُها: نَمَارِقُ. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥/ ١١٨).

تَدْخُلُهُ المَلَائِكَةُ[1]».

* **موضع الاستدلال:** أن النبي ﷺ كان من هديه مع أهله أنه يمازحهم ويلاعبهم، ويدخل السرور عليهم، بل وكان يصرحُ بحبهم والثناء عليهم بين أصحابه؛ إلا أنه مع هذا كان إذا وجد شيئًا في بيته يغضب الله، أو رأى من أهله شيئًا ينكره، يغضب لذلك، وينهى عنه، وهذا من معالم وسطيته في تعامله مع أهل بيته.

٢- وسطية النبي ﷺ في تعامله مع أصحابه الكرام ﷺ:

كان رسول الله ﷺ من عادته مع أصحابه أنه يجالسهم ويشاركهم في أفراحهم وأحزانهم، ويلبي دعوتهم، ويمازحهم، ويستشيرهم في بعض أمره، وكان لا يغضب من أحدٍ إلا إذا انتُهكت حرمة من حرمات الله ﷻ فيعرف ذلك في وجهه، ويغضب من أجله.

فمثال الأول: ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح (٢٠/ ٩٠/ ١٢٦٤٨)، عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ[2]». وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي، مَنْ هَذَا؟، فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذًا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ، أَوْ قَالَ: «لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ».

ومثال الثاني: ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كِتَابُ النِّكَاحِ-بَابُ هَلْ يَرْجِعُ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا فِي الدَّعْوَةِ ٧/ ٢٥/ ٥١٨١).

(٢) قال المناوي في فيض القدير (٢/ ٤٥٢): (باديتنا) أي ساكن باديتنا، أو يهدي إلينا من صنوف نبات البادية وأنواع ثمارها، فصار كأنه باديتنا، أو إذا تذكرنا البادية سكن قلبنا بمشاهدته، أو إذا احتجنا متاع البادية جاء به إلينا فأغنانا عن الرحيل، أو هو من إطلاق اسم المحل على الحال، (ونحن حاضروه) أي نجهزه بما يحتاجه من الحاضرة، أو أنه لا يقصد بالرجوع إلى الحاضرة إلا مخالطتنا.

إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ، مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ[1]».

*** موضع الاستدلال:**

أن النبي ﷺ كان من عادته أنه يمازح أصحابه ويتلطف معهم حتىٰ مع الضعفاء والأطفال والشيوخ، ويشاركهم جميعًا في أفراحهم وأحزانهم؛ إلا أنه كان مع هذا إذا رأىٰ شيئًا فيه تشددًا أو رأىٰ فعلًا يغضب الله، فكان يغضب لذلك، وينهىٰ عنه، وهذا من معالم وسطيته في تعامله مع أصحابه الكرام ﷺ، فلم يكن يداهنهم أو يجاملهم علىٰ حساب دينهم، ولم يكن كذلك يكلفهم فوق طاقتهم.

٣- وسطية النبي ﷺ مع أعدائه:

كان النبي ﷺ وسطًا في تعامله مع أعدائه، فكان مسالـمًا لمن ألقىٰ إليه السلام، وكف أذاه عن المسلمين، فإذا اعتدىٰ أحدهم علىٰ أحدٍ من المسلمين، أو نقض عهده مع المسلمين غضب غضبًا شديدًا وعاقبه.

مثال الأول (الصلح مع أعدائه): قول النبي ﷺ في صلح الحديبية: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»،... ثُم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لمن جاء إليه من المشركين يفاوضه: «إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّىٰ تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ»،... ولَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وعرض الصلح وافق النبي ﷺ، بل وتساهل في بعض بنودها، قَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو للنبي ﷺ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كِتَابُ الأَدَبِ-بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لِأَمْرِ اللَّهِ٨/ ٢٧/ ٦١١٠) والإمام مسلم في صحيحه (كِتَابُ الصَّلَاةِ-بَابُ أَمْرِ الْأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ ١/ ٣٤٠/ ١٨٢-٤٦٦).

وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لاَ نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» -قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»-، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَنَطُوفَ بِهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لاَ تَتَحَدَّثُ العَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ العَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ،... الحديث».[1]

* موضع الاستدلال: أن النبي ﷺ عرض على أهل مكة الصلح، وصالحهم، بل وتنازل عن بعض بنود الصلح لإتمامه، وهذا ليس في صلح الحديبية فحسب، بل كان كذلك في عرضه للصلح والسلام مع اليهود في المدينة، ومع يهود خيبر، ومع غيرهم من أعدائه، والمخالفين له، فما عرض أحدٌ عليه صلحًا إلا وأتمه، وهذا امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ...[2]﴾.

- مثال الثاني (غضب النبي ﷺ ممن اعتدى عليه أو على بعض أصحابه):

روى الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ الْمَغَازِي- بَابُ غَزْوَةِ الرَّجِيعِ، وَرِعْلٍ، وَذَكْوَانَ،... ٥/ ١٠٥/ ٤٠٩٠)، قال: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَبَنِي لِحْيَانَ، اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَدُوٍّ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ، كُنَّا نُسَمِّيهِمُ القُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى كَانُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وَغَدَرُوا بِهِمْ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَبَنِي لِحْيَانَ. قَالَ أَنَسٌ: فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ: بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا.

* موضع الاستدلال: أن النبي ﷺ كان الأصل في تعامل مع أعدائه أو المخالفين له، أنه كان يصالحهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كِتَابُ الشُّرُوطِ-بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ ٣/ ١٩٣/ ٢٧٣١).

(٢) سورة الأنفال/ الآية ٦١.

ويسالمهم، ولم يعتدي على أحدٍ منهم إلا إذا نقض عهده، فعندها يعاقبهم النبي ﷺ على قدر جرمهم، وقد حدث هذا أيضًا مع يهود المدينة -بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير-، صالحهم النبي ﷺ وسالمهم بعد قدومه المدينة، فلما نقضوا عهدهم عاقبهم، وأخرجهم من المدينة.

٤- وسطية النبي ﷺ في العبادة:

كان النبي ﷺ يدعو أصحابه وأتباعه إلى التوسط في العبادة، وكان ينهى عن التشدد والغلو فيها، ومثال ذلك: ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ النِّكَاحِ-بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ ٧/ ٢/ ٥٠٦٣)، قال:عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟»، قَالَتْ: فُلاَنَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا، قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ[1].

وفي الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الحَبْلُ؟» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ، حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»[2].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ الإِيمَانِ-بَابٌ: أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَدْوَمُهُ ١/ ١٧/ ٤٣)، والإمام مسلم في صحيحه (كِتَابُ صَلاَةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا-بَابُ أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلاَتِهِ ١/ ٥٤٢/ ٢٢١-٧٨٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كتاب التهجد-بَابُ فَضْلِ الطُّهُورِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،... ١/ ١٧/ ٤٣)، والإمام مسلم في صحيحه (كِتَابُ صَلاَةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا-بَابُ أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلاَتِهِ ١/ ٥٤١/ ٢١٩-٧٨٤).

* موضع الاستدلال: تدل هذه الأحاديث على أن منهج النبي ﷺ في العبادة هو التوسط والاعتدال، وكان يحذر صحابته من التشدد في العبادة وتكليف النفس فوق طاقتها، بل وكان يحثهم على التوسط والقصد فيها، وأن يعبد الإنسان ربه في وقت نشاطه، فإذا فتر جلس أو نام، وهذا هو المقصد من الوسطية.

٥- وسطية النبي ﷺ في تعامله مع المخطئين:

كان النبي ﷺ وسطًا في تعامله مع المخطئين، فكان يقابل خطأهم بالعفو والصفح مع البيان والتعليم، فلم يكن يعنفهم أو يزجرهم أو يغضب عليهم، كما أنه أيضًا لم يتركهم بدون توجيه أو نصح، وهذا هو أصل الوسطية، أن يكون الإنسان في مواقفه معتدلًا بين التشدد والتساهل، والإفراط والتفريط.

مثال ذلك: ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ- بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ ١/ ٣٨١/ ٣٣-٥٣٧)، قال: عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثْكَلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ».

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (كِتَابِ الطَّهَارَةِ-بَابُ وُجُوبِ غُسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ،... ١/ ٢٣٦/ ١٠٠-٢٨٥)، قال: عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ»، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ.

وأخرج البخاري في صحيحه (كِتَابُ الأَدَبِ-بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا» ٨/ ٣٠/ ٦١٢٨)، قال: عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ

لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ».

* **موضع الاستدلال:** تدل هذه الأحاديث على أن منهج النبي ﷺ في تعامله مع المخطئين كان وسطًا، لم يعاقبهم أو يسبهم أو يسيء إليهم، بل دعاهم ونصحهم وعلمهم وأرشدهم للصواب مع اللطف واللين، ثم دعا لهم ولم يدعو عليهم، وهذا مَعْلَمٌ مهمٌ يحتاج إليه الدعاة خاصة والمسلمون عامة في دعوتهم وتعاملهم مع الناس عامة، ومع العاصين والمذنبين والمخطئين خاصة.

٦- وسطية النبي ﷺ في تعليم الناس وموعظتهم:

كان النبي ﷺ وسطًا في دعوته للناس وتعليمهم، فكان يتعهدهم بالموعظة والتعليم على فترات متقاربة، حتى يذكرهم بالله سبحانه ويعلمهم دينهم، ولا يكثر عليهم حتى لا يملوا.

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»[1].

* **موضع الاستدلال:** كان من هدي النبي ﷺ في تعليم الناس ودعوتهم أنه يتعهدهم بالموعظة على فترات متقاربة، فلم يكن يعظهم كل يوم، ولم يكن يهجرهم، بل كان وسطًا في ذلك، ويبين ابن مسعود الحكمة من ذلك وهو كراهية أن يشق على أصحابه، ولذا قال النووي عند شرحه لهذا الحديث: "وفي هذا الحديث: الاقتصاد في الموعظة لئلا تملها القلوب فيفوت مقصودها[2]".

٧- وسطية النبي ﷺ في حثه لصحابته على حفظ السنة وضبطها وروايتها:

ورد عن النبي ﷺ أنه كان يحث صحابته على حفظ الحديث بل وكتابته ونشره، ومع هذا كان ينهاهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كِتَابُ العِلْمِ-بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا ١/ ٢٥/ ٦٨). ومسلم في صحيحه(كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ-بَابُ الاِقْتِصَادِ فِي الْمَوْعِظَةِ ٤/ ٢١٧٢/ ٨٢-٢٨٢١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٦٤).

من الكذب عليه، أو بتحديث الناس بما لا يفهمون، وهذا من معالم وسطيته ﷺ، حيث كان منهجه وسطًا بين أمرين، فلم يأمر أصحابه بكتابة كل ما يقوله، وكذلك لم ينههم عن كتابتها كلية[1]، وهو كذلك حثهم على رواية السنة، ومع هذا نهاهم عن أن يحدثوا بكل ما يسمعوه، وأن يراعوا أحوال المخاطبين، والأمثلة على منهجه هذا كثيرٌ، منها ما يلي:

منها حثه على كتابة بعض أحاديثه: كما روى الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة ﷺ، أنه ذكر أن النبي ﷺ خطب في فتح مكة، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، يُقَالُ لَهُ أَبُو شَاهٍ، فَقَالَ: اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ»[2].

ومنها حثه على تبليغ الحديث وروايته ونشره: كما روى الشيخان في صحيحيهما عن أبي بكرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ»[3].

ومع هذا كان يحذر صحابته من التحديث بكل ما يسمعونه، وإنما يراعون أحوال المخاطبين، فقال النبي ﷺ كما في صحيح مسلم: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[4].

---

(١) ورد عن النبي ﷺ أنه نهى عن كتابة السنة، كما روى مسلم في صحيحه (كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ-بَابُ التَّثَبُّتِ فِي الْحَدِيثِ وَحُكْمِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ ٤/ ٢٢٩٨/ ٧٢-٣٠٠٤)، قال: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وللعلماء في هذا تأويلات، لعل أرجحها أن هذا النهي نسخ لزوال العلة من النهي وهي خشية اختلاط السنة بالقرآن، وأنه في آخر أمره أذن بالكتابة.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ الدِّيَاتِ-بَابُ مَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ ٩/ ٥/ ٦٨٨٠). = والإمام مسلم في صحيحه (كِتَابُ الْحَجِّ-بَابُ تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا وَخَلَاهَا وَشَجَرِهَا وَلُقَطَتِهَا،... ٩٨٨/ ٤٤٧-١٣٥٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ الْمَغَازِي-بَابُ حَجَّةِ الْوَدَاعِ ٥/ ١٧٧/ ٤٤٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ-بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ ٣/ ١٣٠٥/ ٢٩-١٦٧٩).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (مقدمة الإمام مسلم رحمه الله-بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ١/ ١٠).

* موضع الاستدلال:

يتبين مما سبق وسطية النبي ﷺ في حثه لصحابته على حفظ الحديث، فعندما أراد أحد الصحابة أن يكتب الحديث أذن له، وحث صحابته على تبليغ الحديث، وفي نفس المقام كان ربما لا يحدث بشيء لا تبلغه عقول بعضهم، ومن ثمَّ كان يراعي أحوال المخاطبين، وهذا مَعْلَمٌ مهم من معالم وسطيته ﷺ، وكان له دور بارز في حفظ السنة وروايتها، وهو ما سلكه المحدثون بعد ذلك في جمعهم للسنة ثم روايتها، ثم تمحيصها ونقدها، وبيان صحيحها من ضعيفها.

* قلت: من خلال ما سبق نستطيع أن نستنبط أهم السمات الجلية والمعالم الظاهرة في وسطية النبي ﷺ من خلال منهجه في تعاملاته كلها، ومن أهمها ما يلي:

١- التحذير من الغلو والتشدد، والتطرف والجفاء.

٢- الحث على التوسط والقصد، والاعتدال والاتزان.

٣- اختيار أيسر الأمور في كل أحواله مالم يكن إثمًا.

٤- التأني والتثبت وترك العجلة والتسرع.

٥- الحكمة في معالجة الأخطاء.

٦- الدعوة إلى الله بالحسنى.

٧- مراعاة أحوال المخاطبين.

٨- العمل بالرخص الشرعية لرفع الحرج عن النفس في وقت الحاجة والعذر.

٩- أداء الأعمال في أوقات النشاط، مع إعطاء الجسم حقه من الراحة.

****

المبحث الثالث

وسطية الصحابة، ودورها في حفظ السنة وروايتها

* تمهيد:

اختار الله تعالى لنبيِّه ﷺ صحابةً كرام؛ لينصروه ويوقروه ويحفظوا سُنَّته وينقلوا شريعته للعالمين، ولـمَّا كان الصحابة ﷺ هم نقلة السنة إلينا، جعلت هذا المبحث في بيان وسطيتهم ودورها في حفظ السنة وروايتها، فقد تميزوا -رضوان الله عليهم جميعًا- بالوسطية والاعتدال، والمرونة واللين، فلم يكونوا جفاة ولا متعنتين، ولم يكونوا مداهنين ولا مفرطين، بل كانوا وسطًا بين ذلك كله، وإذا ظهر من أحدهم ميلًا إلى أحد الطرفين -التشدد أو الإفراط-، قاوموه وأرشدوه إلى الوسطية والاعتدال، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ الأَدَبِ-بَابُ صُنْعِ الطَّعَامِ وَالتَّكَلُّفِ لِلضَّيْفِ ٨/ ٣٢/ ٦١٣٩)، قال: عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، قَالَ: فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».

وبناءً على هذا المنهج الذي تميز به الصحابة الكرام ﷺ من اعتدالهم ووسطيتهم مع حبهم لربهم ونبيهم ودينهم، ذكاهم الله ﷻ وعدلهم في قرآنه الكريم، فقال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا[1]﴾.

---

(١) سورة الفتح/ الآية ١٨.

وكذلك ذكاهم النبي ﷺ، فقال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،...[1]»، وقال أيضًا: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ[2]».

ومن ثمَّ، كان لهذا المنهج الذي تميزوا به وساروا عليه دورًا رئيسيًا ومهمًا في حفظ السنة وروايتها، حيث إنهم ساروا على منهجٍ منضبط لحفظ السنة وضبطها، وعند النظر في هذا المنهج الذي ساروا عليه نجده تميز بالوسطية والاعتدال، بعيدًا عن الغلو والإفراط، ومن أهم المعالم التي سار عليها الصحابة ما يلي:

١- حرصهم على سماع الحديث وحفظه وكتابته في عهد النبي ﷺ:

كان الصحابة الكرام ﷺ يحرصون على مجالسة النبي ﷺ، والتعلم منه، وكان من شدة حرصهم على ذلك أنه كان إذا خرج أحدهم للتجارة أو العمل أناب عنه غيره ليبلِّغه ما سمعه من رسول الله ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك، ما رواه الشيخان في صحيحيهما عَنْ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: "كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ -وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ-، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ[3]".

وكان من حرصهم على سماع الحديث وتعلمه، ملازمة النبي ﷺ، وسؤاله، كما روى البخاري في صحيحه (كِتَابُ العِلْمِ-بَابُ الحِرْصِ عَلَى الحَدِيثِ ١/ ٣١/ ٩٩)، قال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كتاب أصحاب النبي ﷺ-بَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ٥/ ٣/ ٣٦٥١)، والإمام مسلم في صحيحه (كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ-بَابُ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ٤/ ١٩٦٣/ ٢١٢-٢٥٣٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كتاب أصحاب النبي ﷺ-بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» ٥/ ٨/ ٣٦٧٣)، والإمام مسلم في صحيحه (كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ-بَابُ تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ٤/ ١٩٦٧/ ٢٢١-٢٥٤٠).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ العِلْمِ-بَابُ التَّنَاوُبِ فِي العِلْمِ ١/ ٢٩/ ٨٩)، والإمام مسلم في صحيحه (كِتَابُ الطَّلَاقِ- بَابٌ فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِهِنَّ ٢/ ١١١١/ ٣٤-١٤٧٩).

يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ».

ومما يدل أيضًا على اهتمام الصحابة الكرام ﷺ على حفظ حديث رسول الله ﷺ، كتابة الأحاديث التي تكلم بها النبي ﷺ في مجالسه، كما روى البخاري في صحيحه (كِتَابُ العِلْمِ-بَابُ كِتَابَةِ العِلْمِ ١/ ٣٤/ ١١٣)، قال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ».

بل وكانت النساء في عهد النبي ﷺ حريصة كذلك على سماع الحديث وحفظه، كما في الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، فقَالَ: «اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا» فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ الله ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا، مِنْ وَلَدِهَا ثَلاَثَةً، إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ»[1].

* **موضع الاستدلال:** يتبين من خلال ما ذكرته من هذه الأمثلة السابقة اهتمام الصحابة الكرام ﷺ -سواءً كانوا رجالًا أو نساءً، صغارًا أو كبارًا- على حفظ حديث رسول الله ﷺ، ويظهر من خلاله وسطيتهم في هذا المنهج، حيث إنهم لم يُفرطوا ويزهدوا في سماع الحديث وكتابته وحفظه، وكذلك لم يتعنتوا ويتشددوا فيمنعوا أحدًا من سماع الحديث وكتابته، كما لم يفرضوه على أحدٍ، بل كان هذا وازعًا من أنفسهم ليتقربوا به إلى ربهم ﷻ.

٢- اهتمامهم بضبط ما سمعوه من النبي ﷺ:

اهتم الصحابة الكرام ﷺ بضبط ما سمعوه من النبي ﷺ، وذكروا نصوصًا تدل على ضبطهم، وتبين كيف حرصوا على حفظ السنة وروايتها، ومن الأمثلة على ذلك، ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عَنْ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ-بَابُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، لَيْسَ بِرَأْيٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ ٩/ ١٠١/ ٧٣١٠)، والإمام مسلم في صحيحه (كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ-بَابُ فَضْلِ = مَنْ يَمُوتُ لَهُ وَلَدٌ فَيَحْتَسِبُهُ ٤/ ٢٠٢٨/ ١٥٢-٢٦٣٣).

أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ ﷺ، قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(١).

* **موضع الاستدلال:** يتضح من قول الصحابي الجليل أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ ﷺ: "سَمِعَتْ أُذُنَايَ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ"، تحريه وضبطه، وهذا مما لا شك فيه منهج سديد سلكه الصحابة الكرام ﷺ لحفظ سنة النبي ﷺ، ونقلها لمن بعدهم، ويتضح فيه الوسطية التي اتسم بها الصحابة الكرام ﷺ، فلم يفرطوا ويهملوا ضبط الحديث، وكذلك لم يتشددوا فيه، بل كانوا وسطًا بين هذا وذاك، فإن أبا شريح وغيره من الصحابة كانوا حريصون على ضبط الحديث، وروايته كما سمعوه امتثالًا لقول النبي ﷺ: «أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ»(٢).

٣- سؤالهم واستفسارهم عن بعض ألفاظ الحديث التي لم يعرفوا المعنى المراد منه:

بلغ من اهتمام الصحابة في فهم السنة النبوية أنهم يسألون ويستفسرون عن بعض ألفاظ الحديث التي لم يعرفوا معناها، كما روى الترمذي في سننه بسند صحيح (أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ- بَابُ مَا جَاءَ فِي مَعَالِي الأَخْلاَقِ ٣/ ٤٣٨/ ٢٠١٨)، قال: عَنْ جَابِرٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ الأَدَبِ-بَابٌ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ٨/ ١١/ ٦٠١٩)، والإمام مسلم في صحيحه (كِتَابُ اللُّقَطَةِ-بَابُ الضِّيَافَةِ وَنَحْوِهَا ٣/ ١٣٥٢/ ١٤-٤٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ المَغَازِي-بَابُ حَجَّةِ الوَدَاعِ ٥/ ١٧٧/ ٤٤٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ-بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ ٣/ ١٣٠٥/ ٢٩-١٦٧٩).

يَوْمَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ[1] وَالْمُتَشَدِّقُونَ[2] وَالْمُتَفَيْهِقُونَ[3]، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ.

فنلحظ في هذا الحديث أن الصحابة فهموا ألفاظ الحديث إلا كلمة منه، فسألوا عن معناها.

وكان كذلك صغار الصحابة يسألون ويستفسرون من كبار الصحابة عن المعنى المراد في بعض الأحاديث، وذلك كما جاء في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ ﷺ عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم: ٤]، فَحَجَجْتُ مَعَهُ، فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّزَ حَتَّى جَاءَ، فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنِ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ ﷻ لَهُمَا: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}؟ فَقَالَ: وَاعَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ[4].

* **موضع الاستدلال:** يظهر في المثالين المذكورين معلمًا من معالم الوسطية عند الصحابة، حيث إنهم لم يخجلوا من السؤال والاستفسار عما لم يعرفوه، وكذلك لم يحدثوا بشيءٍ لم يعرفوا معناه، ولم يتعنتوا في السؤال، فكان سؤال استفسار وتوضيح مع الاحترام والإجلال، وهذا عين الوسطية في أداب الطلب، حيث ينبغي على الطالب أن يسأل شيخه عن كل ما يجهله ولم يتضح له المعنى المراد من

---

(١) الثَّرْثَارُونَ هم: الَّذِينَ يُكْثِرون الْكَلَامَ تَكَلُّفاً وَخُرُوجًا عَنِ الحقِّ. والثَّرْثَرة: كَثْرة الْكَلَامِ وتَرْدِيدُه. (غريب الحديث والأثر ١/ ٢٠٩).

(٢) الْمُتَشَدِّقُونَ هم: الْمُتَوَسِّعون فِي الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ احتياطٍ واحترازٍ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِالْمُتَشَدِّقِ: الْمُسْتَهْزِئَ بِالنَّاسِ يَلْوِي شِدْقَهُ بِهِمْ وعليهم. (المصدر السابق ٢/ ٤٥٣).

(٣) الْمُتَفَيْهِقُونَ هم: الَّذِينَ يتوسَّعون فِي الْكَلَامِ ويَفْتَحون بِهِ أفواهم، مَأْخُوذٌ مِنَ الفَهْق، وَهُوَ الامتِلاء والاتِّساع. (المصدر السابق ٣/ ٤٨٢).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَاب الْمَظَالِمِ وَالْغَصْبِ- بَابُ الْغُرْفَةِ وَالْعُلِّيَّةِ الْمُشْرِفَةِ وَغَيْرِ الْمُشْرِفَةِ فِي السُّطُوحِ وَغَيْرِهَا ٣/ ١٣٣/ ٢٤٦٨)، والإمام مسلم في صحيحه (كِتَابُ الطَّلَاقِ- بَابٌ فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِهِنَّ ٢/ ١١١١/ ٣٤-١٤٧٩).

الحديث، مع وجوب التقدير والإجلال والاحترام للشيخ.

٤- اهتماهم بنقل كل ما سمعوه أو رأوه من النبي ﷺ مهما صغر:

بلغ من اهتمام الصحابة الكرام ﷺ أيضًا في ضبط السنة النبوية، استفسارهم من النبي ﷺ عن بعض أفعاله، وماذا يقول فيها ونحو ذلك، كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ، سَكَتَ هُنَيَّةً قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: "أَقُولُ: اللهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ" (١).

*** موضع الاستدلال:**

يدل هذا الحديث على معلم آخر عند الصحابة في ضبط السنة، وهو الاهتمام بنقل كل ما يرون من النبي ﷺ مهما صغر، والاستفسار عنه، والاستفهام منه، ويتبين من هذا اهتمامهم وشغفهم على تَعلُّمِ الحديث، وحفظه، والعمل به، ثم روايته، ويظهر في منهجهم هذا وسطيتهم التي عُرفوا وتميزوا بها، فهم في هذا المثال لم يفرطوا بحيث لم يهتموا بهذه الأفعال والحركات الصغيرة التي يفعلها النبي ﷺ، وفي نفس الوقت لم يتشددوا بحيث يكثروا من السؤال عن كل فعلٍ يفعله النبي ﷺ، لأنهم كانوا يعلمون من حاله أنه يكره كثرة السؤال، أو السؤال الذي يكون سببًا في فرض شيء عليهم، والأمثلة في ذلك كثيرة، ولذا كانوا وسطًا بين ذلك كله، فلم يسألوا عن كل ما يرونه، ولم يتركوا الاستفسار عن ما يحتاجون إليه، وهذا ما يجب أن يكون عليه طالب العلم مع أستاذه، يعرف متى يسأله ومتى لا يسأله، مع التحلي بالأدب والأخلاق الشرعية بين يدي أستاذه، وهذا واضح في المثال السابق، حيث قدم أبو هريرة ﷺ قبل سؤاله ما يدل على تبجيله وتقديره للنبي ﷺ، فقال له: "يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي"، ولم يباغته بالسؤال مباشرة.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ الأَذَانِ-بَابُ مَا يَقُولُ بَعْدَ التَّكْبِيرِ ١/ ١٤٩/ ٧٤٤)، والإمام مسلم في صحيحه (كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ- بَابُ مَا يُقَالُ بَيْنَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ وَالْقِرَاءَةِ ١/ ٤١٩/ ١٤٧-٥٩٨).

٥- تثبتهم من وقوع الخبر وروده من النبي ﷺ:

كان من اهتمام الصحابة أيضًا وحرصهم على حفظ السنة أنهم كانوا يتثبتون من كل أحدٍ يُحدثُ عن رسول الله ﷺ بما لم يسمعونه، وليس هذا تكذيبًا للراوي، ولكن تحريًا وتثبتًا، لعله أخطأ، أو التبس عليه، ومن الأمثلة على هذا، ما رواه الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ، إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ، فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلاَثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ؟ قُلْتُ: اسْتَأْذَنْتُ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ»، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ، أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: وَاللَّهِ لاَ يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَصْغَرُ القَوْمِ، فَكُنْتُ أَصْغَرَ القَوْمِ فَقُمْتُ مَعَهُ، فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَلِكَ[1].

وروى الإمام مسلمٌ في صحيحه عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: جَاءَ بُشَيْرٌ الْعَدَوِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ، وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَأْذَنُ لِحَدِيثِهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَالِي لَا أَرَاكَ تَسْمَعُ لِحَدِيثِي، أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا تَسْمَعُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ابْتَدَرَتْهُ أَبْصَارُنَا، وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِآذَانِنَا، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ[2] وَالذَّلُولَ، لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ[3].

*** موضع الاستدلال:**

تدل هذه الأثار على تثبت الصحابة في كل ما يُروى عن رسول الله ﷺ، وهذا حفظًا للسنة النبوية من أن يدخل عليها ما لم يقوله رسول الله ﷺ، وعند التأمل في هذين المثالين نرى مدى وسطية الصحابة في

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ-بَابُ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِئْذَانِ ثَلاَثًا ٨/ ٥٤/ ٦٢٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (كتاب الْآدَابِ- بَابُ الِاسْتِئْذَانِ ٣/ ١٦٩٤/ ٣٤-٢١٥٣).

(٢) الصعب: أَيْ شَدَائِدَ الْأُمُورِ وَسُهُولَهَا. وَالْمُرَادُ تَرْكُ الْمُبَالاة بِالْأَشْيَاءِ وَالِاحْتِرَازُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. (غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٩).

(٣) أخرجه الإمام الإمام مسلم في صحيحه (مقدمة- بَابٌ فِي الضُّعَفَاءِ وَالْكَذَّابِينَ وَمَنْ يُرْغَبُ عَنْ حَدِيثِهِمْ ١/ ١٣).

حرصهم على التثبت والتحري فيما ينسب للنبي ﷺ، فهم لم يكونوا يقبلوا الحديث من أي أحدٍ بدون نظرٍ وتثبت، وفي نفس الوقت لم يرفضوه لمجرد أنهم لم يسمعوه من النبي ﷺ إذا ثبت لهم صحته، ولم يشترطوا شروطا تعجيزية لقبوله كأن يأتي عن مشهورٍ من الصحابة، أو توافر فيه التواتر فكل هذا لم يكن، بل كانوا وسطًا بين هذا وذاك، فإنهم يتوقفون أولًا تحريًا وتثبتًا فإذا ما ثبت لهم أن النبي ﷺ قاله فإنهم يفرحون به، ويعملون به كذلك، وهذا ما يجب أن يتحلى به كل مسلم، فإذا ما سمع حديثًا ينسب للنبي ﷺ فإنه ينبغي عليه أن يتثبت منه أولًا،إما بالبحث في كتب السنة إذا كان من أهلها أو بسؤال المختصين، ولا يجوز لأحد أن يروي حديثًا وينسبه للنبي ﷺ دون التأكد من ثبوته، فإذا ما تأكد من ثبوته وجب عليه أن يعمل به.

٦- رحلتهم في طلب الحديث إذا فات أحدهم سماعه:

مما يدل كذلك على حرص الصحابة في حفظ السنة، الرحلة في طلبها، كما قال عَبْدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ﷺ: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا مِنْ كِتَابِ اللهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»[1]. وَقال البخاري في صحيحه معلقًا: رَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ، فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ-بَابُ القُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ٦/ ١٨٧/ ٥٠٠٢). ومسلم في صحيحه (كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ- بَابُ مِنْ فَضَائِلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأُمِّهِ ﷺ٤/ ١٩١٣/ ١١٥-٢٤٦٣).

(٢) ذكره الإمام البخاري في صحيحه معلقًا (كِتَابُ العِلْمِ-بَابُ الخُرُوجِ فِي طَلَبِ العِلْمِ ١/ ٢٦). ووصله الإمام أحمد في مسنده بسندٍ حسن (٢٥/ ٤٣١/ ١٦٠٤٢)، قال: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ: ابْنُ عَبْدِ اللهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي، وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ، أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا»، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ

❖ **موضع الاستدلال:**

يتبين من هذه الأمثلة حرص الصحابة على حفظ السنة وتعلمها، وذلك بالرحلة في طلبها، والحصول عليها، ويظهر في هذين المثلين وسطيتهم المعهودة، حيث إنهم لم يتكاسلوا عن طلب الحديث إذا كان في مكان بعيدٍ عنهم، بل كانوا يرحلون إليه طلبًا في الحصول عليه، وفي المقابل لم يتكلفوا في ذلك بحيث يخرجون لطلب ما هو موجود عندهم في بلدهم أو فيما لا فائدة منه، وهذا هو الوسط في طلب العلم والرحلة بأنه لا يرحل إلا لما يحتاج إليه، وهذا ما يجب أن يتحلى به طالب العلم في رحلته لطلب العلم، ومن ثمَّ وضع العلماء آدابًا للرحلة في طلب العلم، فالرحلة وإن كانت مستحبة لطلب العلم؛ إلا أنها قد تكره إذا خرجت عن حد الاعتدال، ولذا قال الحافظ الخطيب البغدادي: الْمَقْصُودُ فِي الرِّحْلَةِ فِي الْحَدِيثِ أَمْرَانِ، أَحَدُهُمَا: تَحْصِيلُ عُلُوِّ الْإِسْنَادِ وَقِدَمِ السَّمَاعِ، وَالثَّانِي: لِقَاءُ الْحُفَّاظِ وَالْمُذَاكَرَةُ لَهُمْ وَالِاسْتِفَادَةُ عَنْهُمْ، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرَانِ مَوْجُودَيْنِ فِي بَلَدِ الطَّالِبِ وَمَعْدُومَيْنِ فِي غَيْرِهِ فَلَا فَائِدَةَ فِي الرِّحْلَةِ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَى مَا فِي الْبَلَدِ أَوْلَى.... فَالْمُسْتَحَبُّ لِلطَّالِبِ الرِّحْلَةُ لِجَمْعِ الْفَائِدَتَيْنِ مِنْ عُلُوِّ الْإِسْنَادَيْنِ وَعِلْمِ الطَّائِفَتَيْنِ لَكِنْ بَعْدَ تَحْصِيلِهِ حَدِيثَ بَلَدِهِ وَتَمَهُّرِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ بِهِ[1].

٧- تبليغهم الحديث لمن بعدهم، وعدم كتمانه:

كان من أهم العوامل التي سلكها الصحابة الكرام ﷺ في حفظ السنة، وظهرت فيه أيضًا وسطيتهم هو "تبليغ الحديث ونشره، وعدم كتمانه"، كما في الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ أَكْثَرَ، وَاللهُ الْمَوْعِدُ، وَيَقُولُونَ: مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يَتَحَدَّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ؟ وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: إِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَرَضِيهِمْ، وَإِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ

عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ»، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ».

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٢٣).

إِذَا نَسُوا، وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا: «أَيُّكُمْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِي هَذَا، ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَهُ»، فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ، حَتَّى فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْئًا حَدَّثَنِي بِهِ، وَلَوْلَا آيَتَانِ أَنْزَلَهُمَا اللهُ فِي كِتَابِهِ مَا حَدَّثْتُ شَيْئًا أَبَدًا: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى} [البقرة: ١٥٩] إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ[1].

ومع حرصهم على نشر الحديث وتبليغه إلا أنهم كانوا يتعهدون الناس بمجالس الحديث والعلم على فترات حتى لا يملوا، كما روى مسلم في صحيحه عَنْ شَقِيقٍ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ يُذَكِّرُنَا كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا[2].

*** موضع الاستدلال:**

فهذه الأمثلة تدل على ما كان عليه الصحابة من الحرص على نشر الحديث وتبليغه؛ لكنهم في نفس الوقت كانوا يتعاهدون الناس على فترات حتى لا يملوا، وهذا درس عظيم يجب أن يتحلى به كل مُعلمٍ أو شيخٍ، وهو ألا يكثر على الناس حتى لا يكرهوا العلم، وأن يتوسط في تعليمهم وموعظتهم، ولذا قال الإمام أحمد: لَا أُحِبُّ أَنْ يُمِلَّ النَّاسَ وَلَا يُطِيلَ الْمَوْعِظَةَ إِذْ وَعَظَ[3].

٨- مراعاتهم لأحوال المستمعين عند التحديث:

فمن أهم العوامل التي اهتم بها الصحابة الكرام عند رواية الحديث هو مراعاة أحوال المستمعين، وقدر استيعابهم للحديث وفهمهم له، ولذا قال عليٌّ ﷺ: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ،

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كِتَابُ العِلْمِ-بَابُ حِفْظِ العِلْمِ ١/ ٣٥/ ١١٨)، والإمام مسلم في صحيحه (كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ-بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ ٤/ ١٩٤٠/ ١٦٠-٢٤٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (كِتَابُ العِلْمِ-بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا ١/ ٢٥/ ٦٨). والإمام مسلم في صحيحه (كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ-بَابُ الِاقْتِصَادِ فِي الْمَوْعِظَةِ ٤/ ٢١٧٢/ ٨٢-٢٨٢١).

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح (٢/ ٨٥).

اللهَ وَرَسُولُهُ»[1]. وقال عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[2].

*** موضع الاستدلال:**

فمن أهم عوامل نشر العلم والحديث هو مراعاة أحوال المخاطبين، ويظهر في هذه الأمثلة توسط الصحابة، حيث لم يتركوا التحديث كلية، وكذلك لم يُقبِلوا على التحديث لأي أحدٍ، وفي أي وقتٍ، وإنما توسطوا في ذلك، وهذا منهج سديد ينبغي أن يتحلى به كل عالم أو داعية أو معلم، وهو أن يعلم الناس العلم النافع مع مراعاة أحوالهم، وفترات إقبالهم، فإذا ما رأى نفورًا أو انصرافًا بأعينهم عنه، أنهى حديثه بعبارة لطيفة.

❖ وفي ختام هذا المبحث، أقول:

هذه المعالم التي ذكرتها هي بعضٌ مما اعتمد عليه الصحابة الكرام ﷺ في حفظهم لسنة النبي ﷺ وروايتها، وكان لها أبرز الأثر في بقاء السنة ليومنا هذا، وتتضح من تلك المعالم المذكورة عند إمعان النظر فيها "وسطية الصحابة ﷺ في تلك المعالم كلها"، فلم يهملوا السنة كليةً واعتمدوا على القرآن أو حده، ولم يتفرغوا للجهاد وغيره ويتركوا حفظ السنة وضبطها وروايتها لمن بعدهم، وفي المقابل لم يتشددوا أو يتعنتوا في حفظها أو روايتها فلم يخصوا أحدًا بسماع الحديث دون غيره، ولم يشترطوا ورود الحديث متواترًا ليقبلوه، أو وضعوا شروطًا وضوابط تعجيزية لقبلوها، وإنما توسطوا بين هذا وذاك، فكان منهجهم الذي ساروا فيه لضبط السنة وحفظها وروايتها هو عين الوسطية وأساسها.

****

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(كِتَابُ العِلْمِ-بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا١/ ٣٧/ ١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (مقدمة الإمام مسلم رحمه الله- بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ١/ ١١).

المبحث الرابع

بيان معالم الوسطية عند المحدثين

وفيه مطلبان:

﴿المطلب الأول: معالم الوسطية عند المحدثين في جمع السنة وروايتها﴾

اعتنى المحدثون على مر العصور بسنة النبي ﷺ حفظًا وضبطًا وروايةً، من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وقد وضعوا منهجًا قويمًا ساروا عليه وسلكوه ليطمئنوا إليه في ثبوت الحديث إلى النبي ﷺ، وعند النظر في هذا المنهج الذي وضعوه، وتلك القواعد التي سلكوها سنرى مدى وسطيتهم التي تميزوا بها فكانت سببًا -بإذن الله- في بقاء السنة إلى يومنا هذا، وقد سار المحدثون في حفظهم لسنة النبي ﷺ على مسلكين، الأول: مرحلة جمع السنة وتدوينها وروايتها. والثاني: مرحلة تمحيصها ونقدها، وبيان صحيحها من ضعيفها، وسأتحدث في هذا المطلب -بإذن الله- عن المرحلة الأولى، ثم أبرز وسطية المحدثين من خلاله.

لقد كان من أهم القواعد التي سلكها المحدثون لحفظ السنة النبوية ما يلي:

١- حرصهم على سماع الحديث وحفظه، وكتابته وتدوينه:

حرص المحدثون من التابعين منذ العصر الأول على سماع الحديث من الصحابة الكرام ﷺ، وحفظه في صدورهم، وكتابته في صحفهم، حيث كان يجلس بعض الصحابة يملون الأحاديث على طلابهم من التابعين، كما رُوي عن معروفٍ الخياط أنه قَالَ: "رَأَيْتُ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ يُمْلِي عَلَى النَّاسِ الْأَحَادِيثَ فَهُمْ يَكْتُبُونَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ"(١)، ثم جاء من بعد الصحابة التابعون وتابعوهم فعقدوا مجالسًا للتحديث، وكان من هؤلاء: شعبة بن الحجاج، ثم يزيد بن هارون، ثم البخاري وغيرهم، كما رُوي عن صالح بن محمد البغدادي أنه قال: "كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ يَجْلِسُ بِبَغْدَادَ، وَكُنْتُ اسْتَمْلِي لَهُ، وَيَجْتَمِعُ فِي مَجْلِسِهِ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا"(٢)، وكانت هذه المجالس المباركة يشتهيها حتى الخلفاء

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٥٥).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٦).

والأمراء فضلًا عن العلماء وطلابهم وعوام المسلمين، حيثُ رُوي عن النضرِ بن شُميلٍ أنه قال: سَمِعْتُ الْمَأْمُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: «مَا أَشْتَهِي مِنْ لَذَّاتِ الدُّنْيَا إِلَّا أَنْ يَجْتَمِعَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ عِنْدِي وَيَجِيءُ الْمُسْتَمْلِي فَيَقُولُ مَنْ ذَكَرْتَ أَصْلَحَكَ اللهُ[1]»، فقائل هذه الجملة السابقة، ليس أي أحدٍ، وإنما الذي قالها هو خليفة المسلمين آنذاك، وهذا إن دل فإنما يدل على شرف تلك المجالس ورفعتها، وما زالت مجالس التحديث تعقد حتى يومنا هذا في مشارق الأرض ومغاربها لسماع الكتب الحديثية بفضل الله تعالى.

ولم يقف حرصهم على سماع الحديث فقط، بل وكانوا يحفظونه في صدورهم، كما قَالَ مَالِكٌ: لَقِيتُ ابْنَ شِهَابٍ يَوْمًا فِي مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَدِيثٍ فِيهِ طُولٌ فَحدثني بِهِ، فَلَمْ أَحْفَظْهُ، فَأَخَذْتُ بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَعِدْهُ عَلَيَّ، فَأَبَى، فَقُلْتُ: أَمَا كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ يُعَادَ عَلَيْكَ فَأَعَادَهُ"[2].

وكذلك كانوا يكتبون الحديثَ في صُحُفٍ؛ للرجوع إليها عند الاختلاف، ولأجل هذا قدَّم العلماءُ روايةَ عبد الرحمن بن مهدي على روايةِ وكيع بن الجراح في حالِ اختلافهما، وكلاهما إمامٌ حافظٌ حُجَّة؛ لأنَّ ابن مهدي أقرب عهداً بالكتاب، قال الإمام أحمد: "إذا اختلفَ وكيعٌ وعبدُ الرحمن، فعبدُ الرحمن أثبتُ؛ لأنه أقربُ عهداً بالكتاب[3]. فالكتاب هو الحَكَمُ بين المُحَدِّثين إذا اختلفوا، وإذا كان الراوي سيئ الحفظ فلا يتحمَّلون منه إلاَّ إنْ حدَّث من كتابه؛ ليأمنوا خطأه.

*** موضع الاستدلال:**

مما سبق يتبين حرص الصحابة ثم المحدثون من بعدهم على سماع الحديث، وعقد المجالس له، وكذلك حفظه، وكتابته في صحفهم، ثم تدوينه في الكتب بعد ذلك، وقد تميز منهجهم هذا بالوسطية المعهودة منهم، حيث لم يهملوا مجالس التحديث، أو عدم حفظها أو كتابتها، وكذلك لم يكثروا منها بحيث تعقد المجالس يوميًا فيملها الناس، بل كانوا يعقدون لها يومًا واحدًا كل أسبوع، فعن محمد بن سيرين، أن

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٥٦).

(٢) تاريخ دمشق (٥٥/ ٣٢٩).

(٣) تاريخ بغداد (١١/ ٥١٢).

أبا هريرة ﷺ كان يقوم كل خميس فيحدثهم، وكان أبو نعيم الحافظ يعقد مجلس الإملاء في كل يوم خميس[1].

٢- الاهتمام بضبط الحديثِ ونقطه حتى لا يقع فيه تصحيفٌ:

كان من عوامل حفظ السنة التي اهتموا بها ضبط ألفاظ الحديث بالشكل وتنقيطه حتى لا يقع فيه خطأ، ويسلم من التصحيف، كما قال ابن الصلاح: "ثم إن على كتبة الحديث وطلبته صرف الهمة إلى ضبط ما يكتبونه، أو يحصلونه بخط الغير من مروياتهم على الوجه الذي رووه شكلًا ونقطا يؤمن معهما الالتباس، وكثيرا ما يتهاون بذلك الواثق بذهنه، وتيقظه، وذلك وخيم العاقبة، فإن الإنسان معرض للنسيان، وأول ناس أول الناس، وإعجام المكتوب يمنع من استعجامه، وشكله يمنع من إشكاله[2]". لكنهم مع هذا كانوا يفضلون عدم تشكيل إلا ما يقع منه الإشكال كأسماء الرواة وأنسابهم ونحو ذلك، وألا يُشكل إلا ما يحتاج إلى تشكيل، حيث قال ابن الصلاح: "ثم لا ينبغي أن يتعنى بتقييد الواضح الذي لا يكاد يلتبس، وقد أحسن من قال: إِنَّمَا يُشْكَلُ مَا يُشْكِلِ[3].

*** موضع الاستدلال:**

فيدل كلام ابن الصلاح إلى أهمية ضبط ألفاظ الحديث، وأسماء الرواة سواء بالنقط أو الشكل، إلا أنه مع هذا بين أن الأولى والأفضل ألا يُشكل كل الكلام، وإِنَّمَا يُشْكَلُ مَا يُشْكِلِ.

٣- استعمال صيغ التحمل والأداء:

كان من أهم القواعد التي وضعها المحدثون لمعرفة ثبوت الحديث من عدمه، هو استعمال صيغ التحمل والأداء في كل طريق لمعرفة نوع تحمل كل طريق وكيفية أدائه، وقد قسَّم المحدثون هذه الصيغ إلى ثمانية أنواع، كل نوع يدل على طريقة معينة في التحمل والأداء.

قال القاضي عياض: اعْلَمْ أَنَّ طَرِيقَ النَّقْلِ وَوُجُوهَ الْأَخْذِ وَأُصُولَ الرِّوَايَةِ عَلَى أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ، وَيَجْمَعُهَا

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٥٥).

(٢) مقدمة ابن الصلاح (ص ١٨٣).

(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص ١٨٣).

ثَمَانِيَةُ ضُرُوبٍ، وَكُلُّ ضَرْبٍ مِنْهَا لَهُ فُرُوعٌ وَشُعُوبٌ، وَمِنْهَا مَا يُتَّفَقُ عَلَيْهِ فِي الرِّوَايَةِ وَالْعَمَلِ، وَمِنْهَا مَا يُخْتَلَفُ فِيهِ فِيهِمَا جَمِيعًا أَوْ فِي أَحَدِهَا، أَوَّلُهَا: السَّمَاعُ مِنْ لَفْظِ الشَّيْخِ، وَثَانِيهَا: الْقِرَاءَةُ عَلَيْهِ، وَثَالِثُهَا: الْمُنَاوَلَةُ، وَرَابِعُهَا: الْكِتَابَةُ، وَخَامِسُهَا: الْإِجَازَةُ، وَسَادِسُهَا: الْإِعْلَامُ لِلطَّالِبِ بِأَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ رِوَايَتُهُ، وَسَابِعُهَا: وَصِيَّتُهُ بِكُتُبِهِ لَهُ، وَثَامِنُهَا: الْوُقُوفُ عَلَى خَطِّ الرَّاوِي فَقَطْ[1]".

*** موضع الاستدلال:**

كان من أهم العوامل التي استخدمها المحدثون في حفظ السنة هو استعمال صيغٍ معينة لتحمل الحديث وأدائه، وهذه الصيغ التي استخدمها المحدثون تبرز وسطية المحدثين في تحملهم للحديث وأدائه، حيث إنهم لم يهملوها كلية، وكذلك لم يجعلوها كلها بمنزلة واحدة فالسماع ليس كالوجاة، والعرض ليس كالوصية.

بل وتوسط بعض المحدثين كذلك في الرواية وضوابطها عندما تشدد بعضهم فوضع شروطًا تعجيزية للرواية، وتساهل آخرون فقبلوها من أي أحد وبدون ضوابط، قال ابن الصلاح: شدد قوم في الرواية فأفرطوا، وتساهل فيها آخرون ففرطوا، ومن مذاهب التشديد مذهب من قال: "لا حجة إلا فيما رواه الراوي من حفظه، وتذكره"، ومنها: مذهب من أجاز الاعتماد في الرواية على كتابه، غير أنه لو أعار كتابه وأخرجه من يده لم ير الرواية منه لغيبته عنه،... ومن أهل التساهل قوم سمعوا كتبًا مصنفة وتهاونوا، حتى إذا طعنوا في السن، واحتيج إليهم حملهم الجهل والشره على أن رووها من نسخ مشتراة، أو مستعارة غير مقابلة،...

ثم قال ابن الصلاح: "والصواب" ما عليه الجمهور، وهو التوسط بين الإفراط والتفريط، فإذا قام الراوي في الأخذ والتحمل بالشرط الذي تقدم شرحه، وقابل كتابه وضبط سماعه على الوجه الذي سبق ذكره، جازت له الرواية منه، وإن أعاره وغاب عنه، إذا كان الغالب من أمره سلامته من التبديل والتغيير، لا سيما إذا كان ممن لا يخفى عليه في الغالب - لو غير شيء منه وبدل - تغييره وتبديله، وذلك لأن الاعتماد في باب الرواية على غالب الظن، فإذا حصل أجزأ، ولم يشترط مزيد عليه، والله

---

(١) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض (ص ٦٨).

أعلم[1]".

وكذلك توسط بعض المحدثين في قبول بعض صيغ التحمل، وحملوها على الاتصال بشروط، بينما تشدد آخرون فردوها كلية، وتساهل آخرون فقبلوها كلية بدون أي شرط أو قيد، قال د/ نور الدين عتر: "المعنعن: هو الذي يقال في سنده: فلان عن فلان، من غير تصريح بالتحديث أو الأخبار أو السماع، وقد تشدد بعض الناس فعده من قبيل المرسل والمنقطع حتى يتبين اتصاله بالتصريح بالسماع ونحوه. والصحيح الذي عليه العمل التوسط فيه، وأنه من الحديث المتصل، ذهب إلى هذا جماهير الأئمة من أهل الحديث وغيرهم، وأودعه المشترطون للصحيح في تصانيفهم الصحيحة وقبلوه[2]".

٤- التثبت والتأكد من تحمل الراوي للحديث، وحفظه لألفاظه:

كان من أهم عوامل حفظ السنة التي اهتم المحدثون بها، هي التثبت والتأكد من تحمل الراوي للحديث، فإذا ما شكَّ أحدُهم في حديثٍ هل تحمله أم لا، طرحه ولم يحدث به. قال الإمام الشافعي: "كان مالك إذا شك في الحديث تركه كله[3]". وقال سفيان الثوريّ: "ما رأيتُ أورعَ من شعبة، كان إذا شكَّ في الحديث تركه[4]". وقال يَحْيَى بْنَ مَعِين: "مَن لَمْ يَكُنْ سَمْحًا فِي الْحَدِيثِ كَانَ كذَّابًا، فَقِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ يَكُونُ سَمْحًا؟ قَال: إِذَا شَكَّ فِي الْحَدِيثِ تَرَكَهُ[5]".

*** موضع الاستدلال:**

تدل هذه النصوص على أن المحدثين كانوا يتحرون ويتثبتون في رواية الحديث، فإذا شكوا فيه توقفوا فيه ولم يحدثوا به، وربما طرحوه.

□

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٠٨).

(٢) منهج النقد في علوم الحديث، للدكتور نور الدين عتر (ص ٣٥١).

(٣) شرح علل الترمذي لابن رجب (١/ ٤٥٧).

(٤) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (١٢/ ٣٢٢).

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (١/ ٢١٧).

المطلب الثاني: معالم الوسطية عند المحدثين في نقد السنة وتمحيصها

كما اعتنى المحدثون بحفظ سنة النبي ﷺ وضبطها وروايتها، اعتنوا كذلك بنقدها وتمحيصها ليُمِيزُوا المقبول منها من المردود، ولقد وضعوا منهجًا قويمًا ساروا عليه وسلكوه ليطمئنوا إليه في ثبوت الحديث من عدمه، وعند النظر في هذا المنهج الذي وضعوه في نقد السنة وتمحيصها، وتلك القواعد التي سلكوها سنرى مدى وسطيتهم التي تميزوا بها، ولقد كان من أهم القواعد التي سلكها المحدثون في نقد السنة وتمحيصها ما يلي:

١- نقد رواة الحديث:

كان من أهم القواعد التي سلكها المحدثون في نقدهم للأحاديث هو نقد رواتها، وذلك لمعرفة درجة كل واحدٍ منهم من حيث التعديل والتجريح، وما يتعلق بهما من التدليس والإرسال ونحوهما مما يساعد في الحكم على الحديث صحة وضعفًا. ولذا فقد وضع المحدثون ضوابط لمعرفة الراوي الثقة، والراوي المتقن الضابط، فالراوي الثقة يعرف إذا توافر فيه شرطا العدالة والضبط، والراوي المتقن يعرف ضبطه بموافقته للرواة المتقنين، ومن ثم نجد النقاد يحكمون على راوٍ أنه ثقة، وثانٍ بأنه ثقة ثبت، وثالث بأنه ثقة متقن، وهذه المصطلحات وإن كانت كلها تدل على تعديل الراوي إلا أن بعضها يقدم على الآخر عند الاختلاف بين الرواة، بل وقد يكون الراويان ثقتان إلا أن أحدهما قد يكون أثبت من الآخر في شيخه المذكور في هذا الطريق، وهكذا نلحظ أن المحدثين وضعوا قواعد لمعرفة درجة كلِ راوٍ على حدة، وهل توثيقه مطلق أم مقيد، وهذا إن دل فإنما يدل على وسطيتهم المعهود، فهم لم يحكموا على الرواة تعديلًا وتجريحًا بأهوائهم بدون دراسة، ولم يصححوا الأحاديث لحسن ألفاظها، أو يضعفوها لأنها لا تعجبهم، وإنما ساروا في تعديل الرواة وتجريحهم، وتصحيح الأحاديث وتضعيفها على حسب قواعد منضبطة لا تقبل المجاملة أو المحاباة.

قال ابن الصلاح: "أَجْمَعَ جَمَاهِيرُ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ عَلَى أَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِيمَنْ يُحْتَجُّ بِرِوَايَتِهِ أَنْ يَكُونَ عَدْلًا، ضَابِطًا لِمَا يَرْوِيهِ، وَتَفْصِيلُهُ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا، بَالِغًا، عَاقِلًا، سَالِمًا مِنْ أَسْبَابِ الْفِسْقِ وَخَوَارِمِ الْمُرُوءَةِ، مُتَيَقِّظًا غَيْرَ مُغَفَّلٍ، حَافِظًا إِنْ حَدَّثَ مِنْ حِفْظِهِ، ضَابِطًا لِكِتَابِهِ إِنْ حَدَّثَ مِنْ كِتَابِهِ، وَإِنْ كَانَ

يُحَدِّثُ بِالْمَعْنَى اشْتُرِطَ فِيهِ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِمَا يُحِيلُ الْمَعَانِيَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.... ثم قال: وعَدَالَةُ الرَّاوِي: تَارَةً تَثْبُتُ بِتَنْصِيصِ مُعَدِّلَيْنِ عَلَى عَدَالَتِهِ، وَتَارَةً تَثْبُتُ بِالِاسْتِفَاضَةِ، فَمَنِ اشْتَهَرَتْ عَدَالَتُهُ بَيْنَ أَهْلِ النَّقْلِ أَوْ نَحْوِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَشَاعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِالثِّقَةِ وَالْأَمَانَةِ، اسْتُغْنِيَ فِيهِ بِذَلِكَ عَنْ بَيِّنَةٍ شَاهِدَةٍ بِعَدَالَتِهِ تَنْصِيصًا... فَلَا يُسْأَلُ عَنْ عَدَالَةِ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْأَلُ عَنْ عَدَالَةِ مَنْ خَفِيَ أَمْرُهُ عَلَى الطَّالِبِينَ.... ثم قال: ويُعْرَفُ كَوْنُ الرَّاوِي ضَابِطًا بِأَنْ نَعْتَبِرَ رِوَايَاتِهِ بِرِوَايَاتِ الثِّقَاةِ الْمَعْرُوفِينَ بِالضَّبْطِ وَالْإِتْقَانِ، فَإِنْ وَجَدْنَا رِوَايَاتِهِ مُوَافِقَةً - وَلَوْ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى - لِرِوَايَاتِهِمْ، أَوْ مُوَافِقَةً لَهَا فِي الْأَغْلَبِ وَالْمُخَالَفَةُ نَادِرَةٌ، عَرَفْنَا حِينَئِذٍ كَوْنَهُ ضَابِطًا ثَبْتًا، وَإِنْ وَجَدْنَاهُ كَثِيرَ الْمُخَالَفَةِ لَهُمْ، عَرَفْنَا اخْتِلَالَ ضَبْطِهِ، وَلَمْ نَحْتَجَّ بِحَدِيثِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[1]".

- بل بلغ من اهتمام المحدثين ودقتهم في الحكم على الرواة أنهم وضعوا شروطًا لمن يقبل منه النقد، وليس كل واحدٍ يقبلُ منه نقده في الرواة، بل وقسم المحدثون النقاد إلى ثلاثة طبقات، فمنهم المتشدد، ومنهم المتساهل، ومنهم المتوسط، وذكروا متى يقبل من كلِ واحدٍ فيهم.

قال الذهبي: "قسمٌ مِنْهُم متعنت فِي الْجَرْح، متثبت فِي التَّعْدِيل، يغمز الرَّاوِي فِي الغلطتين وَالثَّلَاث، فَهَذَا إِذا وثق شخصًا فعض على قَوْله بنواجذك، وَتمسك بتوثيقه، وَإِذا ضعَّفَ رجلًا فَانْظُر هَل وَافقه غَيره على تَضْعِيفه، فَإِن وَافقه وَلم يوثق ذَلِك أحد من الحذاق فَهُوَ ضَعِيف، وَإِن وَثَّقَهُ آخر فَهُوَ الَّذِي قَالُوا لَا يقبل فِيهِ الْجَرْح إِلَّا مُفَسرًا، وَقسم مِنْهُم يتسامح -أي يتساهل- كالترمذي وَالْحَاكِم، وَقسم مِنْهُم معتدل كأحمد ابن حَنْبَل، وَالدَّارَقُطْنِيّ، وَابْن عدي[2]".

وقال ابن حجر: "ولْيَحْذَرِ المتكلِّمُ في هذا الفنِّ مِن التَّساهُلِ في الجَرْحِ والتَّعديلِ، فإنَّهُ إنْ عدَّلَ أحدًا بغيرِ تثبُّتٍ كانَ كالـمُثْبِتِ حُكْماً ليسَ بثابتٍ، فيُخْشى عليهِ أنْ يدْخُلَ في زُمرةِ «مَن روى حَديثاً وهُو يظنُّ أنَّهُ كَذِبٌ»، وإنْ جَرَّحَ بغيرِ تَحرُّزٍ فإنَّه أقْدَمَ على الطَّعنِ في مُسلمٍ بَريءٍ مِن ذلك، ووسَمَهُ بِميْسَمٍ

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ١٠٤).

(٢) رسالة بعنوان "ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل للذهبي" (ص ١٧١).

سُوءٍ يَبْقىٰ عليهِ عارُهُ أَبداً[1].

وقال السخاوي: ومعرفة الثقات والضعفاء التي يتميز بها المقبول في الحديث عن غيره، ومن اختلف فيه منهم، فيرجح بالميزان، -أي بالعدل والقسط-، مراعيًا في ذلك التحري والاعتدال، تاركًا التساهل والاحتمال[2]".

- ومما يدل أيضًا على وسطية المحدثين في نقدهم للرواة أنهم قبلوا مرويات كثيرٍ من المبتدعة بشروط وضعوها، فلم يحملهم مخالفتهم لهم في العقيدة إلى رد مروياتهم كلها، وكذلك لم يتساهلوا فيقبلوها كلها بدون ضوابط.

قال الحسينُ بنُ محمد الجياني فيما نقله عنه النووي في تدريب الراوي: "الناقلون سبع طبقات: ثلاث مقبولة، وثلاث مردودة، والسابعة مختلف فيها، فالأولى من المقبولة: أئمة الحديث وحفاظهم، يقبل تفردهم وهم الحجة على من خالفهم. والثانية: دونهم في الحفظ والضبط لحقهم بعض وهم، والثالثة: قوم ثبت صدقهم ومعرفتهم لكن جنحوا إلى مذاهب الأهواء من غير أن يكونوا غلاة ولا دعاة. فهذه الطبقات احتمل أهل الحديث الرواية عنهم، وعليهم يدور نقل الحديث، والأولى من المردودة: من وسم بالكذب ووضع الحديث، والثانية: من غلب عليه الوهم والغلط، والثالثة: قوم غلوا في البدعة ودعوا إليها، فحرفوا الروايات ليحتجوا بها. وأما السابع المختلف فيه: فقوم مجهولون انفردوا بروايات، فقبلهم قوم وردهم آخرون"[3].

وقال الذهبي في ترجمة أبان بن تغلب وكان شيعيًا: "فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع وحد الثقة العدالة والإتقان؟ فكيف يكون عدلًا من هو صاحب بدعة؟ وجوابه: أن البدعة على ضربين: فبدعة صغرىٰ كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق. فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة. ثم بدعة

---

(١) نزهة النظر لابن حجر (١/ ١٣٩).

(٢) التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر للسخاوي (ص ١٠٥).

(٣) تدريب الراوي (١/ ١٥٧).

كبرىٰ، كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط علىٰ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلىٰ ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة... ولم يكن أبان بن تغلب يعرض للشيخين أصلًا، بل قد يعتقد عليا أفضل منهما[1]".

- وكان من وسطية المحدثين في نقدهم للرواة أنهم كانوا يردون علىٰ من ضعف أحدًا من الرواة ممن احتج به العلماء، أو يضعفون راويًا ثبت ضعفه ويردون علىٰ من تساهل في قبول روايته.

فمثال الأول: ما نقله الذهبي عن ابن الصلاح أنه قال في "أحمد بن جعفر بن حمدان، أبو بكر القطيعي": "اختل في آخر عمره، حتىٰ كان لا يعرف شيئاً مما يقرأ عليه الرواة. فقال الذهبي معقبًا: فهذا القول غلو وإسراف، وقد كان أبو بكر أسند أهل زمانه[2]".

ومثال الثاني: ما نقله ابن حجر عن أبي الحسن بن القطان أنه قال في "عبد الرحمن بن زياد، أبو خالد الإفريقي": "كان من أهل العلم والزهد بلا خلاف بين الناس، ومن الناس من يوثقه ويربأ به عن حضيض رد الرواية. فقال ابن حجر معقبًا: والحق فيه أنه ضعيف لكثرة روايته المنكرات، وهو أمر يعتري الصالحين[3]".

* وبهذا يتبين لنا كيف تميز المحدثون بالوسطية والاعتدال في نقدهم لرواة الأحاديث، فقد قبلوا مروياتهم بناءً علىٰ ضوابط وقواعد لا بناء علىٰ محابة أو مجابلة، ولم يردوها كرهًا لهم، بل كان من وسطيتهم أنهم رووا حتىٰ عن المخالفين لهم في الفكر والاعتقاد، ولا شك أن هذا من أعظم من أبواب الإنصاف، وهو أن يقبل الإنسان الحق من أي أحدٍ إذا ثبت صدقه، دون النظر إلىٰ ما يعتقد به أو يميل إليه.

٢- نقد الأسانيد:

كان من أهم الضوابط التي وضعها المحدثون للحكم علىٰ الحديث هو نقد الأسانيد، وذلك بجمع

---

(١) ميزان الاعتدال (١/ ٥).

(٢) المصدر السابق (١/ ٨٧).

(٣) تهذيب التهذيب (٦/ ١٧٦).

الطرق، ومعرفة نوع طريق كل حديث على حدة، فهل طرق هذا الحديث متواترة أم آحاد، وهل الآحاد جاء من طريق واحد، أو اثنين، أو ثلاثة، وهل لكل طريق متابع أو شاهد، أم يوجد اختلاف على أحد الرواة فيه، ثم هل سمع كل راوٍ من شيخه أم سمع من غيره، وهل حدَثَ بعد سماعه تغير أو اختلاط، كل هذه الأمور وضعها المحدثون في حسبانهم عند دراستهم ونقدهم للأحاديث، بل وبلغ من دقة المحدثين أنهم وضعوا كتبًا في تراجم الرواة وأحوالهم، وكتبًا في المدلسين وطبقاتهم، وكتبًا في المختلطين وكيفية تمييز ما حدثوا به قبل الاختلاط عن ما حدثوا به بعده، بالإضافة إلى كتب السماع، وكتب التخريج، ونحو ذلك، كل هذا وضعه العلماء واستخدموه في نقد الأسانيد، ليتميز من خلالها ثبوت الحديث من عدمه، ومن خلال هذا المنهج الدقيق، والقواعد المنضبطة نستطيع أن نلحظ معالم الوسطية عند المحدثين، حيث وضعوا ضوابطًا متزنة بعيدًا عن التفريط والإفراط.

قال ابن الصلاح: "الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: هُوَ الْحَدِيثُ الْمُسْنَدُ الَّذِي يَتَّصِلُ إِسْنَادُهُ بِنَقْلِ الْعَدْلِ الضَّابِطِ عَنِ الْعَدْلِ الضَّابِطِ إِلَى مُنْتَهَاهُ، وَلَا يَكُونُ شَاذًّا، وَلَا مُعَلَّلًا.... فَهَذَا هُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي يُحْكَمُ لَهُ بِالصِّحَّةِ بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ الْحَدِيثِ. وَقَدْ يَخْتَلِفُونَ فِي صِحَّةِ بَعْضِ الْأَحَادِيثِ لِاخْتِلَافِهِمْ فِي وُجُودِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ فِيهِ، أَوْ لِاخْتِلَافِهِمْ فِي اشْتِرَاطِ بَعْضِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، كَمَا فِي الْمُرْسَلِ[1]".

وبناء على هذا التعريف الذي وضعه المحدثون لقبول الحديث، نلحظ أنه يتضمن خمسة شروط لصحة الحديث، وهي "اتصال السند، وعدالة الرواة، وضبطهم، وعدم الشذوذ، وعدم العلة". وهذه الشروط الخمسة، منها ما هو خاص بنقد السند، وهي الشروط الثلاثة الأولى، ومنها ما يتعلق بنقد السند والمتن معًا وهما الشرطان المتبقيان "عدم الشذوذ، وعدم العلة".

*** موضع الاستدلال:**

هذه الضوابط والقواعد التي وضعها المحدثون لنقد السند هي أساس الوسطية وعينها، حيث إنها تتميز بالاعتدال والاتزان بعيدًا عن الإفراط والتفريط، فلم يقبلوا الأحاديث بدون ضوابط، ولم يضعوا ضوابط

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ١١).

تعجيزية كاشتراط التواتر في كل حديث، أو عدم وجود طعن في أي راوٍ –ولو كان يسيرًا–.

٣- نقد المتون:

كما اهتم المحدثون بنقد الإسناد، ووضعوا له ضوابط وكتبًا لتمييز الصحيح من الضعيف، كذلك وضعوا قواعد لنقد المتن، فقد يصح الإسناد، والمتن ضعيفًا، ومن ثمَّ وضع المحدثون قواعد، منها ما هو مشترك في نقد السند والمتن، ومنها ما هو خاص بنقد المتن.

أمَّا الضوابط المشتركة بنقد السند والمتن فهي عدم الشذوذ، وعدم العلة.

وقد ذكر ابن الصلاح ثلاثة تعريفات للشاذ، فقال: "قَالَ الشَّافِعِيُّ ﷺ: لَيْسَ الشَّاذُّ مِنَ الْحَدِيثِ أَنْ يَرْوِيَ الثِّقَةُ مَا لَا يَرْوِي غَيْرُهُ، إِنَّمَا الشَّاذُّ أَنْ يَرْوِيَ الثِّقَةُ حَدِيثًا يُخَالِفُ مَا رَوَى النَّاسُ. وقال أَبُو يَعْلَى الْخَلِيلِيُّ: الَّذِي عَلَيْهِ حُفَّاظُ الْحَدِيثِ أَنَّ الشَّاذَّ مَا لَيْسَ لَهُ إِلَّا إِسْنَادٌ وَاحِدٌ، يَشِذُّ بِذَلِكَ شَيْخٌ ثِقَةٌ كَانَ أَوْ غَيْرَ ثِقَةٍ. فَمَا كَانَ عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ فَمَتْرُوكٌ لَا يُقْبَلُ، وَمَا كَانَ عَنْ ثِقَةٍ يُتَوَقَّفُ فِيهِ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ. وَذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ: أَنَّ الشَّاذَّ هُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي يَتَفَرَّدُ بِهِ ثِقَةٌ مِنَ الثِّقَاتِ، وَلَيْسَ لَهُ أَصْلٌ بِمُتَابِعٍ لِذَلِكَ الثِّقَةِ[1]".

* قلت: فبناء على ما نقله ابن الصلاح، فالشافعي عرف الشاذ بأنه مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه. والخليلي: عرفه بأنه مطلق التفرد. والحاكم: عرفه بأنه تفرد الثقة. وقد تعقب ابنُ الصلاح الخليلي والحاكم وردَّ عليهما، ثم قال في نهاية كلامه: "فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَغَيْرُهُ مِنْ مَذَاهِبِ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ لَكَ أَنَّهُ لَيْسَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْإِطْلَاقِ الَّذِي أَتَى بِهِ الْخَلِيلِيُّ وَالْحَاكِمُ[2]". ولذا فقد استقرَّ المحدثون على تعريف الشافعي للشاذ، وكان اختيارهم له دليلًا على وسطيتهم فلم يشددوا كما فعل الخليلي –رحمه الله–، حيث جعل مطلق التفرد شاذًا، ولا كما فعل الحاكم –رحمه الله–، حيث جعل تفرد الثقة شاذًا، أما الشافعي فإنه جعل الشاذ هو مخالفة الثقة لغيره من الثقات.

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ٧٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٧٦).

وعرف ابن الصلاح الْحَدِيث الْمُعَلَّل، فقال: هُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي اطُّلِعَ فِيهِ عَلَى عِلَّةٍ تَقْدَحُ فِي صِحَّتِهِ، مَعَ أَنَّ ظَاهِرَهُ السَّلَامَةُ مِنْهَا. وَيَتَطَرَّقُ ذَلِكَ إِلَى الْإِسْنَادِ الَّذِي رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، الْجَامِعِ شُرُوطَ الصِّحَّةِ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِرُ[1]".

- فمن خلال تعريف العلماء للشاذ والحديث المعلل يتبين أن المحدثين وضعوا هذين الشرطين لنقد الإسناد والمتن الذي رواتهما ثقات، لكن خالفهم من هم أوثق منهما، ومن خلال هذين التعريفين نلحظ وسطية المتقدمين من المحدثين، فإنهم لم يفرطوا بقبول أي حديثٍ سنده ظاهره الصحة دون النظر لعلة فيه خفية، وهذا ما وقع فيه بعض المشتغلين بالسنة من المعاصرين حيث حكموا على أحاديث بالصحة بمجرد النظرة الأولى لظاهر الإسناد، بل ربما قووا أحاديث أسانيدها ضعيفة بطرق أخرى بدعوى أنها متابعة لها، وعند التأمل فيها نجدها موضع علة لوقوع اختلاف فيه، وليس بمتابعة، فليس كل طريق يعبر متابعة أو شاهد، كما أنهم لم يشددوا بحيث يرفضوا ويردوا أي حديث فيه اختلاف أو طعن لمجرد الاختلاف دون النظر في أسبابه، وإنما يمنعوا النظر، فما وافق تلك القواعد قبلوه وإلا ردوه، وهذا هو منهج المتقدمين من المحدثين.

- أما نقد المتن وحده، فقد اهتم به المحدثون كذلك، بل والصحابة من قبلهم، فكان من أهم القواعد التي وضعوها لرد بعض المتون إذا جاءت مخالفة لصريح القرآن الكريم، ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، عن ابنِ عُمرَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ»، قَالَ ابنُ عباسٍ: فَقُمْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَحَدَّثْتُهَا بِمَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ، فَقَالَتْ: لَا، وَاللهِ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَطُّ «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَحَدٍ»، وَلَكِنَّهُ قَالَ: "إِنَّ الْكَافِرَ يَزِيدُهُ اللهُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَذَابًا، وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ {أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم: ٤٣]، {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام: ١٦٤]»[2]".

- وقد كان المحدثون يردُّون الأحاديث لمخالفة المتن للواقع المعلوم، كما روى ابن الجوزي في كتابه الموضوعات (٢/ ٨١)، قال: عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي الْوَزْنِ وَعَلَيْهِ

---

(١) المصدر السابق (ص ٩٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (كِتَابُ الْجَنَائِزِ-بَابُ الْمَيِّتِ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ٢/ ٦٤٠/ ٢٢-٩٢٨).

مِئْزَرٌ فَهَمَمْتُ أَنْ أُكَلِّمَهُ، فَقَالَ: يَا أَنَسُ إِنَّمَا حُرِمْتُ دُخُولَ الْحَمَّامِ بِغَيْرِ مِئْزَرٍ". ثم قال ابن الجوزي معقبًا: هَذَا حَدِيث مَوْضُوع بلا شك، وَفِي رِوَايَته جمَاعَة مجْهُولُونَ، وَمَا أسمج من وَضعه، فَإِن الدُّخُول لَا يكون فِي الْوَزْن، وَلم يدْخل رَسُول اللَّهﷺ حَماما قَطُّ، وَلا كَانَ عِنْدهم حمام.

* **موضع الاستدلال:** تدل هذه الآثار ما كان عليه الصحابة والمحدثون من بعدهم من نقد المرويات، سواء كانت مخالفة لصريح القرآن، أو للواقع المعلوم في زمن رواية الحديث، وغير ذلك من قواعد وضعها العلماء لنقد المتون، وهذا إن دل فإنما يدل على عناية علماء الحديث ودقتهم في حفظ سنة النبي ﷺ من أي شيءٍ يشوبها أو يدخلها يقدح في صحتها، وعند النظر في هذه الضوابط التي وضعها العلماء لنقد الأسانيد والمتون نجد أنها اتسمت بالوسطية والاعتدل، والمرونة والاتزان بعيدًا عن الغلو والجفاء أو التساهل والإفراط، فلم يقبلوا أي حديث نسب إلى النبي ﷺ على الإطلاق من أجل ثقة قائله فقط، ولم يردوها كلها بسبب خطأ بسيط لا يسلم منه أي راوٍ، وإنما ساروا على منهج وسطٍ بين هذا وذاك، فكان نعم المنهج.

وأختم بحثي هذا بما ذكره مُحَمَّد بن طَاهِر الفتني الْهِنْدِيّ في مقدمة كتابه تذكرة الموضوعات، بما يدل على وسطية المحدثين عبر العصور في نقدهم للمرويات، ليقف القارئ الكريم على وسطية المحدثين المعهودة.

قال مُحَمَّد بن طَاهِر : هَذَا مُخْتَصرٌ يجمع أَقْوَال الْعلمَاء النقاد، والمحدثين السراد فِي وضع الحَدِيث أَو ضعفه، حَتَّى يتَبَيَّن أَن وَضعه أَو ضعفه مُتَّفقٌ، أَو أَنه بِسَبَب قُصُور قَاصِر، أَو سَهْو ساهٍ مُخْتَلف، كَيْلا يتجاسر الكسل على الْجَزْم بِوَضْعِهِ بِمُجَرَّد نظرة فِي كَلَام قَائِل أَنه مَوْضُوع، وَلَا يتسارع إِلَى الحكم بِصِحَّة كل مَا نسب إِلَى الحَدِيث غافل مخدوع، فَإِن النَّاس فِيهِ بَين إفراط وتفريط، فَمن مفرط يجْزم بِالْوَضْعِ بِمُجَرَّد السماع من أحد لَعَلَّه ساه أَو ذُو تخطيط، وَمن مفرط يستبعد كَونه مَوْضُوعا وَظن الحكم بِهِ سوء أدب ومخترعا، وَلم يدر أَن لَيْسَ حكمه على الحَدِيث بل على مخترع الْكَذِب الخاذل أَو مَا زل فِيهِ قدم الغافل[1].

(١) تذكرة الموضوعات لمحمد بن طاهر الهندي (مقدمة الكتاب ص ٣).

﴿الخاتمة﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛

فبدايةً أحمد الله تعالى على ما أنعم به ووفق إلى إتمام هذا البحث على هذا الوجه، فالله وحده صاحب الفضل والمنة، فهو حسبنا ونعم الوكيل. ولقد طفت في هذا البحث بين كتب السنة النبوية وكتب المصطلح والتراجم وغيرهم لاستخرج أهم العوامل التي استخدمها المحدثون في حفظ السنة وضبطها وروايتها، ثم تمحيصها ونقدها، وهي عوامل وضوابط كثيرة، اعتمدت على بعضها وليس كلها، ثم عمدت إلى بيان وسطية المحدثين من خلال هذا المنهج الذي سلكوه، ولقد وقفت في هذا البحث على بعض النتائج التي استفدتها من ثنايا البحث، ومن أهمها ما يلي:

١- أن الإسلام يدعو ويحث أتباعه إلى الوسطية والاعتدال، وأن المنهج السديد الذي سكه دين الإسلام منذ بدايته هو التمسك بالاعتدال والاتزان.

٢- أن الإسلام كما حث ودعا إلى الوسطية، فإنه حذر ونهي أتباعه عن الغلو والتطرف، أو أي شيء يبعد عن حد الوسطية.

٣- إن الوسطية التي حث عليها الإسلام، حدها: أنها جزء بين طرفين، بين الغلو والتقصير، فالتشدد في موضع اللين غلو، والتساهل فيما أوجبه أو حرمه الإسلام تقصيرٌ، والضابط في ذلك هو اتباع هدي النبي ﷺ، فإنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما، وهذا هو عين الوسطية ومقصدها.

٤- سار النبي ﷺ في حياته كلها، وتعاملاته جميعًا على مبدأ الوسطية والاعتدال حتى إنه إذا فعل عبادة خاصة به، وأراد أحد أن يقتدي به في ذلك نهاه عنه، وبين له أن هذا خاص به، ثم يحثه على الرفق بنفسه، كما روى البخاري في صحيحه (كِتَابُ الصَّوْمِ-بَابُ التَّنْكِيلِ لِمَنْ أَكْثَرَ الوِصَالَ ٣/ ٣٨/ ١٩٦٦)، قال: عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالوِصَالَ» مَرَّتَيْنِ، قِيلَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ، فَاكْلَفُوا مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ».

٥- سلك الصحابة الكرام ﷺ في منهجهم في حفظ السنة النبوية وضبطها وروايتها على ما حثهم عليه

رسول الله ﷺ من الوسطية والاعتدال، فكانوا يستوثقون من ثبوت الحديث، ومن ضبطه، وبيان المعنى المراد منه، ثم نقده إسنادًا ومتنًا إذا خالف الضوابط التي وضعوها لحفظ سنة النبي ﷺ.

٦- وضع المحدثون ضوابط وقواعد تضمن حفظ السنة النبوية وبقائها، سواء كان ذلك في مرحلة جمعها وتدوينها، أو في مرحلة نقدها وتمحيصها، وتمييز صحيحها من ضعيفها.

- هذه بعض أهم النتائج المستفادة من هذا البحث، كما أوصي في نهاية ببحثي ببعض الوصايا، ومن أهمها ما يلي:

١- ضرورة الحديث عن وسطية الإسلام، ودعوته إلى الاعتدال والاتزان، وبيان سماحته التي جاء بها بين الشباب، وفي وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرهم.

٢- التحذير من خطورة الغلو والتطرف، وبيان عقوبته الدنيوية والأخروية، وأن الإسلام وأئمته بريؤون من كل فهم مغلوط لمقاصد الإسلام، والتشريعات التي جاء بها، وأن ما يصدر من بعض المنتسبين إلى الإسلام من غلو أو جمود عقل، فهذه فردية يتحمل مسؤليتها أصحابها، والإسلام وعلماءه منه براء.

٣- بيان وسطية الصحابة في حفظ السنة النبوية وفهمها، وكيف نقلت السنة إلينا، وما هي الخطوات التي سلكوها للتثبت منها، ثم الرد على الشبهات المثارة حول عدم كتابة الصحابة للسنة النبوية.

٤- أهمية الحديث عن وسطية المحدثين من خلال منهجهم التي وضعوه وسلكوه لحفظ السنة والنبوية وضبطها وروايتها، ثم وسطيتهم كذلك من خلال القواعد التي وضعوها لنقد الأحاديث سندًا ومتنًا.

- وفي الختام: أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يضع له القبول، وينفع به صاحبه وقارئه وسائر المسلمين بمنه وفضله الكريم.

﴿ فهرس المصادر﴾

م	الكتاب
	القرآن الكريم
١	الآداب الشرعية والمنح المرعية، لمحمد بن مفلح المقدسي، طبعة: عالم الكتب.
٢	الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض، تحقيق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار التراث- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٧٩هـ - ١٩٧٠م.
٣	تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، تحقيق: د.بشار عواد، ط: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
٤	تاريخ دمشق لأبي القاسم ابن عساكر، الناشر: دار الفكر، عام: ١٩٩٥ م.
٥	تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لجلال الدين السيوطي، الناشر: دار طيبة.
٦	تذكرة الموضوعات لمحمد طاهر الفَتَّنِي، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٤٣ هـ.
٧	تفسير القرطبي، والمسمى الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٩٦٤ م.
٨	تفسير الطبري، والمسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٩	التفسير الكبير، والمسمى مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
١٠	تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ل محمد بن فتوح الأزدي، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥م.
١١	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، الناشر: وزارة عموم الأوقاف- المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ ه.
١٢	تهذيب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند،

	الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
١٣	تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الهروي، الناشر: دار إحياء التراث– بيروت، الطبعة: الأولى،٢٠٠١م.
١٤	التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.
١٥	الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.
١٦	الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف- بحيدر آباد – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.
١٧	جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي، الناشر: دار العلم– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
١٨	ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل للإمام الذهبي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
١٩	الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لأبي عبد الله الكتاني، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.
٢٠	سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٢١	سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ–١٩٧٥م.
٢٢	سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
٢٣	شرح النووي على صحيح مسلم للإمام النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ه.
٢٤	شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي، تحقيق: د/ همام عبد الرحيم سعيد، الناشر: مكتبة المنار –

	الزرقاء – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٢٥	صحيح البخاري لأبي عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٦	صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٧	فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ه. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
٢٨	فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام عبد الرؤف المناوي، الناشر: المكتبة التجارية- مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه.
٢٩	الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: الكتب العلمية – بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٣٠	لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة- ١٤١٤ هـ
٣١	مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لشمس الدين، المعروف بـ«سبط ابن الجوزي»، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.
٣٢	مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٣٣	معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٣٤	المفاتيح في شرح المصابيح، للحسين بن محمود الشِّيرازيُّ (ت ٧٢٧ هـ)، الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، – ٢٠١٢ م.
٣٥	المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

٣٦	معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٧	مقدمة ابن الصلاح، والمسماه: معرفة أنواع علوم الحديث، لأبي عمرو ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر- سوريا، سنة النشر: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٣٨	منهج النقد في علوم الحديث، د نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٩٨١ م.
٣٩	الموضوعات لابن الجوزي، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط: الأولى ١٩٦٦م.
٤٠	ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، ط: دار المعرفة-بيروت، ١٩٦٣ م.
٤١	نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة: الثالثة، - ٢٠٠٠ م.
٤٢	النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.